

الكتاب في طبعه الأول

الإسلام والمشكلة الجنسية
نظراتنا إلى الواقع نستمدح الإسلام

مكتبة

1111

الدكتور مصطفى عبد الواحد

الإسلام والمشكلة الجنسية
نظرات إلى الواقع تستهدي روح الإسلام

الناشر
مكتبة المتنبئ

١٤ ش الجمهورية - طابن - القاهرة

٩٢٠٢٩٤ : ٥

الطبعة الثانية — مئة

١٩٧٢ - ١٣٩٢

مطبع حسان
٢٤٤ شارع البشت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ورسوله وما توفيقى إلا بالله عليه
توكلت وإليه أُنِيب..

وبعد :-

فهذه الطبعة الثانية من هذا الكتاب التى صدرت طبعته الأولى منذ اثنتى عشرة
سنة وما كنت أظن أن أنشره مرة أخرى للقارئ !

لقد كتبت فى فترة الشباب الأولى ، وأنا يومئذ متحمس ثائر على ما أراه حولى
من ظلال القنينة بالجديد والانقطاع نحو التقليد ، وما تصنعه الأيدى الخفية فى أوضاع
المجتمع الإسلامى المعاصر ، على غفلة من المسلمين أو استهانة ، ثم يحين المجتمع
تماره للزرة ..

وقد كنت أكتبه وأنا أنتظر إلى هذا الواقع السيئ ، ومن هنا كنت كثير
الإشارة إليه مشدود النظر نحوه ، عاجل للكتاب طابحه السهل ولم يخلصه لجانب
النظر والدليل ..

حتى إذا غلقت طبعته منذ ستين كنت أؤخر إعادة نشره ، راجيا أن أضيف
إليه مزيدا من العلم والمحبوة والإقناع وأن أقل فيه من الإشارة إلى وقائع المجتمع ..

ولكن الوقت لم يقسح لما حكنت أرجوه ، حتى رغب إلى الكثيرين من الأصدقاء والناشرين في إعادة طبعه ، فما وجدت أمانى أكثر من أيام معدودة عكفت فيها عليه أزيد فيه قليلا وأقص كثيرا ، واستبدل كلمة بأخرى وأضع أسلوبا وقورا — إن صحت هذه التسمية — مكانه أسلوب خفيف !

ورأيت في نشره على أى حال فائدة للشباب المسلم الذى تصوب نحوه السهام وتدير له الكائد ، والذى يتخى أعداؤنا أن يصرفوه جملة عن طريق الإسلام ..

وقلت لنفسى : ليس القصد هنا استعراض القدرة أو اللباهة بالأفكار ، ولكن الإصلاح والإرشاد فى هذا الموضوع الخطير الذى نرى آثاره وتسل جوانبه ..

فلتكن كما أضفت إلى عنوان الكتاب فى هذه الطبعة :

« نظرات إلى الواقع تستهدى روح الإسلام »

ولعلها تصيب مكانها فى الشباب والمجتمع ..

والله الهادى إلى سواء السبيل .

مصطفى عبد الواحد

مكة المكرمة غرة رمضان سنة ١٣٩١ هـ

أكتوبر سنة ١٩٧١ م

تقديم

هذه قطرات واقعية تسهّد روح الإسلام ، إلى مشكلة التفرقة وآثارها في المجتمع .

ومنذ سنوات يلح على خاطر أن أتناول تلك المشكلة بالنظر في ضوء الإسلام ، حين تأملت مجتمعا الإسلامى للماصر ، وقد بدت فيه أعراض الاضطراب والقلق تجاه مشكلة التفرقة ، فظهرت فيه دعوات غريبة ، وأعلنت فيه آراء شاذة ، واختلقت الوجهات وتعددت النظرات ، وأخذ كل فريق يتصرّ رأيه ويدعو إليه ، بل يحاول أن يجعله نظاما عمليا يصطبغ به المجتمع ويرضاه ..

وما من شك أن لهذه المشكلة ، ذات الجانب النظرى ، جانباً واقعياً يحس به ونفسه ، ويزى آثاره السيئة ، تهك القوى وتبدد الجهود ، وتقسّم الأمة طوائف مختلفة بين التطور والجمود ..

ولكن الباحث للنصف إذا نظر إلى هذه المشكلة نظرة قريبة ، تمسّد على التراث والتاريخ وترعى الواقع الاجتماعى ، فإنه يتبين أنه ما كان لها أن تكون فى مجتمعنا الإسلامى ، ونحن نملك من اللبائى ونذكر من الانحماجات ما يرجح مجتمعنا من العناء . ويتقدم من الشقاء وينشر فيه ظلال السكينة والأمان ..

إن ديننا البصيح قد أعطانا آراءنا وأفرا من الحق والخير ، يحصنها من الاضطراب

والخيرة ومحمد لنا سلوكا مستقيا ، حين تلقى بحقائقنا وتمسك بمبادئنا ونبتغى خيرا متنا
ونحنى عن الجهالة والتقليد .

لكن فئات معدودة فى بعض بيئات المجتمع الإسلامى للعاصر تعمل على بقاء
هذه المشكلة دون علاج ، لتاجر باسمها وترجع على حسابها ، ثم لا تبالي باضطراب نظام
المجتمع وزلزلة أركانه وقضى مبادئه وتزيف حقائقه ، مما دامت هى تكسب وتثرى .
وتصدر ميدان القيادة والتوجيه ..

فهذه فنون وأنشطة شتى ومؤسسات ودور ، تعتمد على بقاء تلك المشكلة مستصية
الحل ، وكلها تظاهر بالملاج وتضع الإصلاح ، ولكن المشكلة زداد والجامع تزداد
حين لا تستطيع التوفيق بين ما تؤمن به من عقيدة وماتتق به من رأى وأوضاع المجتمع
التي تبرز فيها أمراض التريزة على نحو هادم غريب ..

ونبين للنظر فى هذه المشكلة أن أدواء كثيرة فى المجتمع تتعلق بها وتشأعنها ،
ولا بد لعلاجها من علاج تلك المشكلة . فوضع المرأة فى المجتمع وقضية المساواة والاختلاط
وعمل المرأة ، والأزياء ووسائل الترويج والتوجيه ، وكثير من الجرائم والانحرافات
وغير ذلك من القضايا ، كلها تتعلق بمشكلة التريزة من قريب أو بعيد ، وحين نعالج
أدواء التريزة ونحول دون طغيانها وعدوانها ، فإن مشكلات كثيرة ستجد الحل
الأمثل ، حينئذ يسعد المجتمع وتسان قواه ويحول ما به من شقاء ووهن .

وعلينا حين نبتغى علاج تلك المشكلة أن ننظر إلى أمثنا بتاريخها ومبادئها وحقيقتها .
دون جنوح إلى التقاليد والمحاكاة ، ولا تتبع أولئك الذين يدعوننا أن قبل الحضارة
الترية بأدونها ومفاسدها أو نرفضها جملة ، وإلا فسنم فى نظرم نأتى من « الرقيقة

التكسرية (١) « فإن تلك الرقبة التي يعبونها بها أفضل من الردة التي يدعوننا إليها »
والتي تعنى الانسلاخ من حقيقتنا التي نعرف بها أنفسنا ، حتى نصير مستخاً شأنها لا يتقى
إلى أصل ولا يرتبط بتاريخ ..

إن تلك الحرب « الأخلاقية » حرب مؤسفة .. لأنها في الحقيقة لا رعى فيه
هذه الأمة إلا ولا ذمة ، ولا تذر شيئاً من الحق إلا حاولت أن تهدمه بالباطل ، حتى
ليزعم « أحدم » أن الحملة الفرنسية هي التي حررت المرأة المصرية ، لأنها أعطتها
حرية البناء مع جنود الحملة !!

أما الإسلام وما صنعه للمرأة خلال أربعة عشر قرناً ..
فلا أثر له عند هؤلاء إلا الجحود والنكران ..

إن مشكلة التريزة في العالم الإنشائي للعاصر تتخذ وسيلة لظن الإسلام في مبادئ
والإجراء عليه في توجيهه وتشريعه .. ونحن هنا نحاول أن نجلى الحقيقة للناظرين ،
لبهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ..
ومن الله تبارك وتعالى الهداية والتوفيق *

مصطفى عبد الواحد

(١) راجع ما كتبه الدكتور لويس عوض في صحيفة الأهرام منذ سنوات خلت .. وسيادته
لا يهيناً عن الإلماح بتلك الفكرة ، وهي اعتناق للذهب التريزي جملة بكل ما فيه ..

الغیرزبہ بین القوی والنظام

غريزة الجنس

تدغريزة النوع من أقوى وأعق الترائز البشرية ، فهي تصل بنشاط دائم وتطالب باستجابة منتظمة ..

لها أهمية في الكيان البشري لحكمتها وهدف يتعلق بقاء الحياة واستمرار الأجيال ..

كما جاء في القرآن : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (١) .

واقطرة تقتضى الاستجابة لها وتلبية ندائها ، وإلا أصاب الإنسان من تجاهلها .
التلف والشقاء ..

أما الكبت والمخروج عن القطرة فإنه يصنع مشكلات شديدة التعقيد كشفت عنها بحوث علماء النفس في العصر الحديث ، الذين اكتشفوا صلة الكبت بكثير من الملل والاضطرابات النفسية ، وخلصوا من ذلك بنظريات عن التريزة تبين علاقتها بنواحي النفس وأثرها في سلوك الإنسان .

وأشهر الذين تناولوا مشكلات التريزة وكشفوا عن علاقتها بمظاهر النشاط البشري هو « فرويد » (٢) الذي عرف من البحوث التي أجراها على كثير من الصبيان بالمال

(١) سورة النساء ١ .

(٢) سيجموند فرويد الطبيب النمساوي الذي ولد سنة ١٨٥٦م وروافيا من أيزنهايم .
وانتهى به عمله الطب إلى ميدان التحليل النفسي . راجع له : حياته والتحليل النفسي ، وثلاث مقالات في نظرية الجنس ترجمة الدكتور مصطفى زيور .

الغسية أن كبت الشعور بالنريزة كان عاملاً قوياً في حدوث هذه الملل ، وأنهى إلى أن غريزة النوع هي للوتر الأول في الحياة البشرية ، وأن جوانب النشاط الإنساني تتأثر بها وتدور حولها .

وكان لنظريات «فرويد» آثارها في المجمع التربوي ، الذي اندفع بعدها ملياً نداء للنريزة ، عطفاً القيود الأخلاقية والضوابط الاجتماعية التي تحول دون الانطلاق .

وكأنما هلت هذه النظريات للمجمع التربوي من حال إلى حال . . إذ كان أئند ما يمانية للمجمع للسيجي التربوي هو الشعور بالكبت للنفس تجاه النريزة .

فالنظرة للسيجية إلى الزواج لا تراه أمراً مثالياً ، والسلوك الأمسي لديهم هو الراهبانية والزوف عن حياة الأسرة ، كما أن للراء في النظر الدين السيجي شيطان يقود إلى التمران ، ومن هنا كان للسيجي للتدين ينظر إلى النريزة نظرة استنذار واحتقار ، وعنده أن من انطوى للإنسان أن يجاهلها ولا يسطيها حقها للشروع . .

وهذه النظرة قاوم الطبيعة البشرية أعنف مقاومة ، وتكلف الإنسان من العناء النفسى والعقل ما يسجز عن احتاله ، فالترايز البشرية القطارية من القوة والأصالة بحيث لا يمكن أن تحمد نولزعها ، وإذا هملت في حين قلبها تستيقظ وتطالب ولو بد حين ، فليس في الطاقة البشرية السوية أن تجاهل النريزة ، ولا أن تعقد أنها رجس وضلال . .

لذلك كان لنظريات «فرويد» آثارها القوية في المجمع التربوي للسيجي ، الذي انتقل بعدها من حال إلى حال في السلوك والتقاليد . .

• • •

وفي الحق أن «فرويد» لم يأت بمجديد حين أعلن علاقة النريزة بمظاهر

السلوك الإنساني ، فذلك أمر واضح للتأمل للطبيعة البشرية ، ولكنه غالى في هذا التأثير ، فجعل التريزة النوعية هي الوجه الأول ، بل الوحيد لنشاط الإنسان .

وكان « فرويد » صادقا حين قرر صلة النكبت ببعض الاضطرابات والعلل النفسية ، وكان في ذلك معبرا عن واقع المجتمع للشيخ التري الذي ما كان يقيح لأفراد التخلص من النكبت النفسى تجاه التريزة ولا أن يتخلصهم من عقدة الاستقلال لها .

ولكن للمجتمع التري قد أخطأ حين أعرف في طريقة علاج مشكلة التريزة . وانتقل من التقيض إلى التقيض ، متأثرا بتهاويل « فرويد » عن التريزة ، خارجا على تعاليم السجعية للصورة المستفزة للتريزة للترفة عن الزواج ..

ولا ينبغي أن نرى نظريات « فرويد » وتأثير المجتمع التري بها ، إلا من جهة أن هذه الموجة للفتنة من الضوابط والآداب ، قد سرت إلى الشرق الإسلامى بتأثير النتيجة الفكرية والمحاكاة السلوكية ..

وما كان لهذه النظريات أو سواها ، من اتجاهات الزب نحو مشكلة التريزة أن تحتل مكانا ، ولو ضئيلا ، في الفكر الإسلامى المعاصر ، فلها نظريات نبعت من مجتمع يخالف لنا في البلى والقيم والأوضاع والعلاقات ..

ولئن كان المجتمع التري قد عانى من مشكلة النكبت أو ظهرت فيه العلل النفسية تجاه التريزة ، فإن المجتمع الإسلامى في تاريخه الطويل لم يعرف النكبت ولم يؤثر عنه مصادمة دوافع الحياة ، ولم تظهر فيه مشكلات بحور التريزة في يوم من الأيام .

ذلك لأن النظرة الإسلامية تجاه التريزة تختلف عن النظرة المسيحية اختلافا تاما.

فالإسلام يرى في الترائز البشرية جيما، ومنها غريزة التنوع، أمراً طبيعياً جعله الله سبحانه في الإنسان لحكمة سامية تحصل باستمرار الحياة وبقاء الأجيال ..

والقرآن يصعد عن غريزة التنوع على أنها نزوع فطري لا ذنب للإنسان في الشعور به، فهو اتجاه متركب في الطبيعة البشرية لا يد للإنسان في وجوده :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المتقطرة من الذهب والفضة والغنم المسومة والأغنام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن السآب » (١).

فهذه غرائز فطرية يجد الإنسان نفسه مدفوعاً إلى الرغبة فيما يتعلق به : غريزة النوع المختلفة في الرغبة في النساء، وغريزة التسل التي تعبر عن رغبة الإنسان في البقاء والامتداد، وغريزة الامتلاك المتعلقة بأنواع المنافع والثروات ..

فلا يلام الإنسان على شعوره بالرغبة في شيء منها أو إحساسه بالسعي لتحقيق نزوعه نحوها، مادام مرتبطاً بالقوانين التي شرعها الله سبحانه لإجابة هذه الترائز، فليس على المرء من حرج إذا شعر بالحاجة التريزة على نفسه، وليس اتجاهه للمشروع لطبيعتها مكرها، بل هو فريضة في بعض الأحيان، حين تشتد وطأها ويرتفع صوتها، وفي الحالات السوية فإن الاستجابة لغريزة الزواج المشروع سنة مؤكدة يسارع إليها المسلم ما دام قادراً على أعبائها .

ولهم أن الإسلام قد أعفى الإنسان من الحرج تجاه كل ما يثور في نفسه من

إحساس أو اتصال طبيعي ، حتى عندما يكون ذلك الإحساس ناشئا عن مؤثر غير مقصود ، كما يجر عنه الحديث الشريف : « إن لك النظرة الأولى وليست لك الآخرة (١) » .

ذلك لأن الإنسان لا يُسأل إلا عما تصده وهزم عليه ، ولا يؤاخذ بما يحس به إحساسا ظاهريا لا يده فيه .

ولا يمكن في ظل هذه النظرية الإسلامية أن تتشأقده الكبت في نفس الإنسان بل إن القرآن يعلن حق الإنسان في كفاية حاجة التريزة العطرية بطريق سوى هو الزواج ، وذلك في قوله سبحانه : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها (٢) » .

فهي آية من آيات الله تبارك وتعالى : أن ركب في الانسان غريزة النوع ثم خلق له ما يستجيب لحاجة تلك الغريزة ، وفي ذلك ما يدل على النظام المحكم الذي أقام عليه الحق سبحانه بناء الحياة ..

وعن طريق الزواج — كما سنبين بعد — يصتق العلاج الناتج لمشكلات الغريزة وترضى فطرة الإنسان كل الرضا ، في ظل هذا الإذن الإلهي للشروع المتمثل في قوله تعالى :

« فَاَوْفُوا بعهْدِكُمْ أَيَّ عَهْدٍ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْنِهِمْ فَمَتَّعَهُمْ وَالْحَقَّ بِمَا كُنْتُمْ تَعْتَدُونَ (٣) »

والنفس البشرية تمجد في هذا القول الحكيم ظللا وإارقة من الأمن والطمانينة والنزوع للشروع الذي يقي الإنسان شرور الفلق واختلال السلوك .

(٢) سورة الروم ٢١

(١) رواء أبو داود والترمذي .

(٣) سورة البقرة ٢٢٣ .

ومن هنا نستطيع أن نقرر بوضوح : أنه في ظل النظرة الإسلامية لطبيعة التريزة . وموقف الإسلام منها يتفق الكبت ويختفي الصراع النفسى الرهيب .. وليس هناك أنفسح وأروح لشاعر الإنسان من تحرير القرآن الكريم أن هذه التريزة طبيعة وكبت في الناس ولا إثم عليهم من الإحساس بها ولا حرج في النزوع نحو الاستعجابة . المشروعة لها .

« نحن نحس التنى في طور للرغبة للتريزة فإنه لا يحتاج - في الإحلام - أن يستيذ بالله من هذا الإحساس الجرد لأن الإسلام يقرر في صراحة أن هذا أمر طبيعي لاخلاف عليه ولا نكران له .. »

وعلى ذلك لا يحتاج أن يكبت للشعور بهذه الرغبة ، لكن يتطهر في نظر الناس ونظر نفسه .. ولا يحتاج كذلك أن يشعر بالآثم من مجرد هذا الإحساس . ومن ثم تتحقق كل الاضطرابات النفسية والعصبية التي تنشأ من الشعور بالآثم والتي تؤدي إلى الجريمة في حالات الشذوذ .

ولسكتنا نعلم أن الإسلام لم يبيح الفرد أن يطبع هذا الهاتف حسبما اتفق .. وإنما وضع لذلك الحدود الشرعية التي يكون مباحاً في داخلها محرماً فيما وراءها .

هذا صحيح ، ولكن هذا شيء ، والكبت شيء آخر .. فهذا تعليق ينظم النشاط ولكنه لا يبيته من منبته ، ولا يحرّم الإحساس به في أية لحظة بين الإنسان ونفسه .»

ولهذا لا يمكن أن يوجد الكبت في ظلال التربية الإسلامية للتل ، ولا يمكن أن يحتاج للمجتمع الإسلامى لنظريات « فرويد » في الكبت وانجاساته في التحليل النفسى وتفسير الأحلام ، بما كان له صداه في الجميع التربى .

هذا إلى أن الحقيقة التاريخية للمجتمع الإسلامى في أجياله المتعاقبة تشهد بميل.

الفترة الإسلامية ونجاحها في حل مشكلة الفريضة والتوفيق بين الواقع والثال..

ذلك لأن الاستجابة الفريضة متمثلة في ازواج كانت تقع في سر وطوعية دون إعانت الفرد ولا إحباط لتوازعه، إذ تمل للسلون من دينهم أن ينظروا إلى هذه الفريضة على أنها تمثل رغبة مشروعة لما صدأها في فس الفرد وفي نظام المجتمع، ومن هنا فلا بد من كفايتها بأسلوب ميسور، لا يشقى الإنسان ولا يجره، ولا يضطره إلى التخلي أو الصراع النفسى .

وهذا هو توجيه الإسلام الحق، الذى كفل للإنسان كفاية حاجاته الطبيعية، ودعا الناس إلى أن يقضوا على الصواب الذى وقف في وجه الفطرة وتصادم ضرورات الإنسان .

ونضرب المثل على السلوك الاجتماعى الإسلامى تجاه الفريضة، بهذه الصورة التى وردت في « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالى، وهى نموذج لفهم البصير والمعالجة القرينية .

فمن عبدالله بن وداعة قال : كنت أجالس سعيد بن السيب - وهو تابعى إمام - فقعدنى أياها، فلما أتته قال : أين كنت ؟ .

قلت : توفيت أهل فاشتغل بها . قال : فلا أخبرتنا فشهدناها ؟

قال : ثم أردت أن أكرم ، فقال : هل استعددت امرأة ؟ قلت : برحمتك الله تعالى ! ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة !

قال : أنا . قلت : وتعمل ؟ قال : نعم . فحمد الله تعالى وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وزوجنى على درهمين ، أو قال ثلاثة ، قال : قمت وما أدرى ما صنعت من القرح ، فصرت إلى منزلى ، وجلت أفكر من أخذ ومن أستدين ، فصليت

التقرب واتصرفت إلى منزلي فأمرجت ، وكنت صائماً قدملت عثائي لأنظر -
وكان خبزاً وزيتاً ، وإذا بابي يصرع قلت : من هذا ؟

قال : سعيد .

قال : فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد ، إلا سعيد بن المسيب - وذلك أنه لم
يُرَ أربعين سنة إلا بين داره والمجد - فخرجت إليه فإذا به سعيد بن المسيب ، فظننت
أنه قد بداه (أى رجع عن رأيه) قلت : يا أبا محمد لو أرسلت إلى لأنيك !

قال : لا ، أنت أحق أن توتى !

قلت : فما تأمر ؟

قال : إنك كنت رجلاً عزيزاً فزوجت ، فكرهت أن أيتك البلية وحدك !
وهذه امرأتك ، وإذا هي قائمة خلقه في طوله قدنسا في الباب ورده !

قال : ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى ،
وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج !

وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه
الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه ! (١)

هكذا كانت ظفرتهم إلى ضرورة الزواج ، وكان تيسيرهم لأمره ، وهكذا
علمهم الإسلام ...

كيف نستجيب؟

حين نقرر حق الإنسان في الاستجابة لانداء التريزة ، إذ أنها ضرورة من ضرورات الحياة البشرية ، فلابد لنا أن نعالج النظر في الصورة التي تتحقق بها الاستجابة ، وأن نبصث تفاصيل للنظام السوى ، الذى يلائم بين مطالب الفرد ومصالح المجتمع ..

وهنا نجد أماننا انجابهين متقابلين عرفتها المجتمعات الإنسانية في كل الأجيال .
أحدهما : إطلاق الميثاق الحرية العلاقات في الاستجابة للتريزة .
والآخر : تنظيم العلاقات وتسيدها بقيود وحدود .

وقد سجل التاريخ الاجتماعى آثار كل من الانجابهين وقيده في إصلاح النظام الاجتماعى أو إفساده ، وفي إنشائه الإنسان أو إفساده .

وعما قرره علم الاجتماع : أن المجتمع الإنسانى لم يسلم يوماً ما بالإبادة المطلقة .
في العلاقات التريزية في مجتمع من المجتمعات ، فإن هذه الإبادة لم تصلح في نظر الجماعة الإنسانية يوماً ما ، على الرغم مما تلى به بنس الأفراد الذين ظنوا أن فوضى العلاقات قد تصلح بمجتمعاتهم في ظروف خاصة ، كأفلاطون الذى كان يرى الإبادة طبقة الجنود ، إذ أراد لهم أن يتجردوا من كل رباط ويخلصوا من كل عاطفة سوى المعلقة نحو الوطن ، فلا يشغلهم علاقات الأسرة وعواطفها ..

وهذا خطأ فاحش .. فإن الجندى حين يقاتل إنما يخطر بقلبه حياة أهله وعشيرته ..
وما الأسرة الصغيرة إلا صورة وميزة للمجتمع الكبير ...

لكن أوهام القلاصة كانت تشذ في بعض الأحيان عن حدود منطق الحياة وقوانينها .

وهناك غير أفلاطون شاذ من دعاة الإصلاح برعهم ، دعوا إلى إطلاق النان .
قوضى العلاقات ، دون رعاية لنظم الاجتماع ولا قوانين الأسرة (١) .

ورغم هذه الدعوات التريفة فإن القطرة الإنسانية لم تستغ أن تكون علاقات .
التريزة قوضى في المجتمع ، فني كل مجتمع مهما بلغ ومن الأخلاق فيه قام نظام .
الأسرة ووجدت العلاقات البانية للسفرة ، إلى جانب القوضى والاعمال .

وهذا دليل قائم لا يزال ، على أن القوضى والإباحة لا تسقيم مع نظام الاجتماع .
الإنساني ، ولا تلائم أهداف الحياة الإنسانية .

حق العرب في جاهليتهم لم يجدوا إلى الإباحة ولم يهجزوا نظام الأسرة ، .
وكانت نظرهم إلى الفاحشة نظرة الزراية والاحترار ، وكان البناء ليسهم في الطبقة .
الاجتماعية الدنيا ، ولا يلجأ إليه إلا السفة الشذاذ ، هذا رغم الجاهلية التي كانت .
تتسام في ذلك العصر . .

والحق أن التأمل لمواقف المجتمعات من أجابة هذه التريزة يجد أن هذه المواقف .
كانت تتبع من مبادئ هذه المجتمعات ونظراتها إلى الحياة ، فكلما كان .
المجتمع مجتمع عقيدة صالحة تنظر إلى الحياة نظرة قومية ، استقامت نظره .
إلى التريزة وتهذب سلوكه نحوها وارتقى .

(١) راجع كتاب « الأسرة والمجتمع » الدكتور علي عبد الواحد وال .

وكما أسفّت نظرة المجتمع إلى الحياة واختلطت عليه قيم الوجود فلم يدرك
تقديرها ، تدنّى في سلوكه والتوى وشملته القوضى والاضطراب .

وتلك سُنّة ثابتة . يصدقها تاريخ الأجيال .

فهؤلاء العرب قبل الإسلام وجدّه ، أصدق شاهد على ما قول .

وقد غرست دعوة الإسلام في المجتمع العربي القيم الإنسانية والنظرات
للتأليه التي أحاطت بتلك التريزة في الأجيال الواعية .

ولمّا كان الأحراف عن نهج الإسلام وهدهم والتحول عن قيمه ومبادئه
سبباً فياً أبواب المجتمع الإسلامي من اضطراب لزاء تلك التريزة القطرية ،
في بعض أجياله .

ثم جاءت الحضارة الغربية فلم تستطع إلا أن قرّ الإباحة بل أغرت الناس
بالتردّي في حشائها ، وهي لا تقدر على الارتفاع عن ذلك ، فليس لها من القيم
الخلقية وللبادئ الاجتماعية ما يمكنها من أن تخطّ للناس طريقاً يبعد بهم عن للمهلك
الحضارية أو يوجههم إلى القابات التي تليق بالإنسان . . لأنها حضارة مادة ومثمة ،
ليس لها تطلع إلى ما وراء ذلك .

ومن عجب أن يظن بعض اللغويين من أبناء الشرق أن مسلك الحضارة
الغربية لزاء هذه التريزة متلك جديد ، يظهر فيه أثر التحرر ويضجى فيه الإبداع
الذي يتسم به عصر التقدم !

وهذا خطأ جليد ، فإن الترب للادى . لم يخترع جديداً حين اتسع فيه
مجال القوضى وأقوت حضارته لإباحة التريزة ، إذ أن هذا الاتجاه كان رحمة

كل" مجتمع لا يستق مبادئ خلقية ولا يرى له غايات روحية ، سواء هوى به الصلخ للادى إلى المضيض ، أو ارتقى به الاختراع والترف إلى ذروة القوة والرفاهية .

لأن الإنسان قد عرف في استجابته للفرزة كلا الطريقين :- النظام للستر ، والقوضى الجماعية .

واختيار أحد الطريقين والحكم بضاد الآخر لا يأتي هكذا خبط عشواء ، - أو اعتراقا بالواقع ، على نحو ما فعل بعض المجتمعات الحديثة ، بل لابد من قياس عقل فاضح ، يصفق مع كرامة الإنسان ومسئوليته في هذا الوجود .

والتي يقتضينا ذلك أن في القديم لم يكن للخطيئة دعامة فكرية ولا فلسفة تستند إليها ، ولا نظريات تخلق من أجل تبريرها ، ولا دفاع من رجال الأنكر والتوجيه .

بل كانت الخطيئة انحراقا سلوكيا يقع فيه الإنسان إما جهلا وسفاهة ، وإما تحت وطأة ظروف اجتماعية مهينة لا يد له بنفسها .

أما عصرنا الحضارى فقد أظم للخطيئة فلسفة تجادل عنها ، ونسج حولها فتوى شق من الأفكار للفرية ، وأصبح لدعاة الخطيئة وسائل خلافة تهيب المجتمعات . قبول ما يدعون إليه . فهذه آداب وفنون ووسائل توجيه وقت على الدعوة إلى تبديل السلوك الإنسانى تجاه الفرزة وإطلاق اللسان للشهوات بلا حظر ولا تهيد ..

وينشأ عن هذه الفلسفة الزامة أوضاع اجتماعية خاطئة تيسر الحرام وتقف في وجه الحلال ، وتحجب الفاحشة إلى الإنسان وتسكره إليه الغاف والطهر .

ومن هنا كانت الحركة في هذا المصير بين القوض والنظام في الاستجابة
للفريزة معركة رأى ومبدأ ونظر ، ثم معركة تأثير ونجاح في توجيه المجتمع .

فلا بد من فضح الفلسفة الكاذبة التي تقوم عليها فوضى العلاقات في هذا
المصر ، وكشف زيفها وباطلها بما يصر الشباب بما فيها من خداع وأغالبط
يقصد بها مسخ الفطرة الإنسانية وتلوين الحقيقة النقية ، وسيلنا في كشف زيف
القوض أن نناقشها في ضوء العقل السليم وحقائق التاريخ وأحداث المجتمع ، ثم نرى
ما أدت إليه من جناية على القضية والفن .

فَوْضَى الْغَرِيزَةِ

يقصد بفوضى الغريزة إطلاق العنان لها في غير إطار النظام الطبيعي للشروع . وقد عرف الإنسان هذا النظام للشروع في صورة مطردة ، لم تتغير حقيقتها على اختلاف الأزمان ، وهو نظام الزواج الذي احتلت إليه النظرة وشرعته الأديان السماوية ، وهو الذي قامت على أساسه تلك المؤسسة الاجتماعية للحيطة : الأسرة . واكتمل بتأؤه واستقر تشريعه فيما جاء به الإسلام خاتمة رسالات السماء .

وفي هذا للنظام مكون النفس واستقرار السواطف وتنمية الحياة والتعاون على مواجهة أعبائها والقيام على صنع الجيل الجديد الذي تصحى به غاية الوجود الإنساني . أما الفوضى فهي إلهة الملائكة دون هدف أو ارتباط ، ودون نظر إلى حق أو واجب ، فليس هناك إلا إجابة زوطة أو تحقيق لذة .

وقبل أن نبين ما وراء هذا الاتجاه من بشاعة وشقاء قسى ودمار اجتماعي ، هتف أمام الجدل الباطل الذي تلتو به ألسنة من يزعمون الإصلاح والتوجيه ويتكلمون بالسكر والعلم ..

فإن منهم من يقول : لماذا تفرقون في علاقات الغريزة ، فتمسون الزواج نظاما وحلالا ، وتمسون الفوضى فاحشة وحراما ، وكلاهما علاقة غريزية ، بصلات رجال بنساء ، بل إن من دتمة فوضى الملائكة وشيوعية الأعراض من يتبجح ويزعم أن للهر في الزواج إن هو إلا ثمن متعة وأجبر متعة ، ويرى أنه نوع لا يميز عن بقية الأنواع .

لكن النظر إلى الملاحظين يفرق بينهما فرقا جوهريا ، فبين في نظام الزواج من
العواطف وللشاعر والتأيات ما يجعله ارتقاعا بالنفس الإنسانية إلى ذروة الإيثار
والتضحية والتعاطف .. إنه بناء للحياة الإنسانية على أساس متين ..

أما التوضي فلا غاية لها ولا هدف ، بل هي هدم للنظام الاجتماعي وإشاعة للفساد
الخالق ، يخرج بها الإنسان عن حد الإنسانية ويتقلب حيوانا لا ينظر إلى ما وراء لذته .
ولا .. فإ الذي يجعل الإنسان يرغب من العلاقة الطبيعية التي تدوم وتثمر ،
إلى نزوة عابرة لا دوام معها ولا استقرار ١٢

ليس هناك إلا الهرب من الأعباء التي تنشأ عن تلك العلاقة ، والرغبة في إسقاط
التسكليف ، والأثرة في النظر إلى حفظ النفس ، دون رعاية لمصالح المجتمع .

وما دنا متفقين على أن التريزة بحاجة إلى الإجابة ، فلا بد من إقرار نظام
مطرد المصلحة مأمون النواقب ، ولا يقل أن يترك الإنسان إلى النهب والاختلاس
والشروء ..

إنها تريزة متجددة الحاجة ، لا بد لها من علاج منظم ، أما النزوات فلها تزيدها
وبالا على وبال ..

إن الفرق بين الحلال في إجابة التريزة ، كالفارق بين الرزق الحلال من عمل
مشروع وبين السرقة والانتهاك ..

ولا فرق بين إباحة الأعراض وإباحة الأموال ..

فالنظام الاجتماعي هو الذي يجعل الزواج طريقا لا ثاني له في إجابة التريزة ،
وهو الذي يحكم بأن فوضى العلاقات شقاء للفرد والمجتمع .

والإنسان في أعماقه يشعر بالفرق بين هذين الاتجاهين .. ففي نظام الزواج الاطمئنان والأمن والشعور بالرضا والاستقرار ، مع الاستعداد لتحمل التكاليف والأعباء ..

وفي فوضى السلاطة والقلق والاضطراب والشعور بالخسارة والانهاب والإحساس بالإثم واحترار النفس ..

ومن هنا فإن طبيعة النظام هي البناء والإعلاء ..

وطبيعة القوضى التدمير والمدمر .. لاتصل بالقرى إلى خير ، ولا بالجموع إلى استقرار أو سلام ..

ولا يمكن عاقل أن يجد مبرراً لقوضى القرية أو سنداً مقبولاً قوم عليه ..

أما الإسلام فإنه حين حرم القوضى في الاستجابة للقرية دعا إلى النظام ، بل أوجبه ، والله سبحانه لم يحرم على عباده شيئاً إلا أبطلهم منه سمة من الحلال تضمن لهم الطمأنينة والتفلاح ..

وتلك قاعدة مطردة في كل ما نهى الله عنه ، كما قال سبحانه :

« وَأَحْلَىٰ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا (١) »

وكذلك أحل النكاح وحرم السفاح ..

والبيع في عالم الاقتصاد مجال فسيح يعود بالخير على السكافة ..

أما الربا فهو استغلال تثق به الجماهير ولا يسد به إلا القليل من أحباب الثروات الذين يمتصون دماء السكادحين .

ولا يختلف أمر السفاح عن الربا ..

فالذين يدعون إليه ويثرون به قليلا ، يريد إشاعة الفاحشة وهدم بناء الأخلاق ، لتيسر لهم التمتع والشهوات ، ولتفسد القوضى المجتمع ثم يجهون في التمار .. أو ليجمعوا الثروات من وراء استغلال ضعف الأخلاق وتكالب الدماء على إجابة دواعي السقوط والانحلال .

أما أن يكون هناك داع في فطرة الإنسان للعلاقة الخاطئة فذلك ما يسبغ دعة القوضى عن إثباته في حقيقة الحياة .

وإن المجتمع ليشقى أشد الشقاء حين تثبت فيه بذور القوضى والخبطنة .

إن استغلال الأعراس واستباحة الحرمات ينشئ في المجتمع مسالك متعددة للجريمة والفساد .

فهذه الإباحية ذات صلة وثيقة بالخيانة في الأموال والنفس في وجوه التعامل .. إذ أن المال يتخذ سلاحا للإيقاع والتفريق ، ومن أين لهؤلاء المال الذي يتسرع للزوات البائنة والعلاقات المثقلة ..

فإذا فرغ لئال لجأوا إلى طريق الكسب الحرام ، كالرشوة والخيانة والاختلاس والجريمة .

وهي كذلك ذات صلة بالخداع والكذب ، والإكراه والاعتصاب الذي يقع في مجتمعات لا تلتزم بضوابط وأخلاق ، وكثيرا مانسبع عنها في بيئات محضرة .
تزعج الارتقاء !

وقد تلبس الإباحية ثوب العاطفة ، فيقع الخلداع باسم الحب من حيوانات مسعورة لا ترقى إلى أفعى العاطفة الرفيع .. وقد يكون الخلداع باسم السبل والسكسب ، وهو مجال فسيح أحدثته الحضارة القبرية التي ألجأت المرأة إلى العمل وأخرجتها من جنة البيت ومملكته الظليلة ، وحلها في بعض الظروف على أن تعرض أنوثتها وتمنهن إنسانيتها لتفتتح لها الأبواب وتفرج السبل ، فأصبحت بعض أعمال المرأة مذمومة لخفاف والحياء والشرف ..

وتلك بعض آثار فوضى الحرية التي تزلزل أركان المجتمع وتبث فيه أدواء الشقاء والوهن .

ومن هنا كان التنفير منها والتحذير من شروطها مقصداً من مقاصد الإسلام يحفظ للإنسانية كرامتها ويوفر لها أمنها ويرتقي بها إلى أسنى الآفاق .

يقول سبحانه : « ولا تهربوا الزنا إنه كان ظحشة وساء نييلاً (١) » .

وهذه الآية تضمن معنى زاهرة يستخرجها النظر ويستجليها الفكر ، على طريقة التركن المجزة التي تجمع للمعنى الكثيرة في اللفظ الموجز ..

فهي تبدأ بالنهي الجازم الذي يحذر من مجرد الاقتراب فضلاً عن الوقوع .. « ولا تهربوا » إشارة إلى ماقى هذا الجرم من هلاك محقق وفساد كبير ..

وبعد النهي تأتي الأسباب للفتنة .. « إنه كان ظحشة » والفتنة هي الأمر القبيح الذي تجاوز في شناعته كل الحدود .. وهي كذلك التي اشتهرت بشاعتها عند السكافة ، فهي موضع اتفاق على قبحها ولتنتكرها .

« وساء نييلاً » يرضاه لنفسه إنسان ، أو يسلكه عاقل إنه ينتهى بالسلك إلى

ضياح مقومات إنسانيته ، فيبتدئه أمنه ويفرط نظام حياته ، ويشقى من حيث ظن
السعادة ويدألم من حيث أراد الله ..

وماء سيلأقره مجتمع أو رضاه أمة تبضى مكاناً كريماً في الحياة ، إذ يجرّد
المجتمع من العاطفة النبيلة والأخلاق الضرورية لتقدم الحياة ونعائها .

وفي هذا المعنى يأتي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« اقروا الزنا فإنّ فيه ستٌ خصل : ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي
في الدنيا : فيذهب البهاء ويورث الفقر ويتقص العمر .

وأما التي في الآخرة : فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ^(١) »
وهو إشارة إلى الفاسد الشنيعة التي تنبئها الخطيئة في نفس صاحبها ، وآثارها للسكرّة
في نواحي النشاط والسلوك .

قوله « يذهب البهاء » يشير إلى حقيقة ملموسة ، وهي أن الخطيئة تحرم صاحبها
من صفاء النفس وجمال الروح وتحيله إلى حيوان كدر الإحساس مظلم البصيرة ..

وقوله « يورث الفقر » يدل على ما يضيئه الاشتغال بالذات المحرمة على الفرد
وعلى المجتمع من مواهب وطاقت ، إذ يصرف الناس عن الجهد في العمل وعن الإخلاص
في العمل ، إلى جانب ما يفتق في هذا السبيل للردي من أموال وما يصاحبه من مفاسد .
وأما نقصان العمر بسبب الإقبال على الخطيئة فهو كناية عن ضياح الصحة وإنهاك
البدن متى أقبل الإنسان على هذا اللورد الآسن ..

(١) أخرجه البيهقي .

فهو مفاد خلقية واقتصادية وصحية ملموسة في كل مجتمع تشيع فيه الخطيئة .
والحديث يشير كذلك إلى سوء المآقية في الآخرة ، وهو وزع ينشئه الإسلام
في النفوس ، لأن المؤمنين يخافون يوم الحساب ، ومن هنا فلا بد لهم من أن يحتنبوا
الخطايا لشدة عقابها يوم الدين . .

يقول الله سبحانه في صفات عباده المؤمنين القائرين :

« .. ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقَ أماناً . يضاعف له العذاب يوم القيامة
ومخلدٌ فيه مهاناً . إلا من تاب .. (١) »

وهو جزاء حق .. لأن الذين يسلكون سبيل الخطيئة إنما يجعلون النظام الذي
شرعه الله لعباده ، ويستدون حدود الله التي جعلها فاصلاً بين النجاة والملكة ، مع أن
الله سبحانه قد أبدلهم بالحرام الحلال ، وقد أباح لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث .
لذلك وردت الأحاديث التي تنهى بأساليب التحذير والوعيد .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الزناة تشتمل وجوههم ناراً » (٢) ، والحق
أن ملوك سبيل الخطيئة يخلب على صاحبه شقاء الدنيا ونكال الآخرة ، وما يزال
بصاحبه حتى يخرج من حظيرة الإيمان ويخرجه من خصائص انقطة ويميزات الإنسانية ،
فالأمر مرتبط بحقيقة الإيمان ، فلما الاقتاع والتصديق وإما الاستخفاف والإنكار .

ولذلك يزع الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان عن المسلم الذي يصير على سلوك
مسالك الخطيئة ولا يقلع عنها ، وذلك في قوله : « القيم على الزنا كما بدوثن » (٣)

(١) سورة الفرقان ٦٨ - ٧٠ .

(٢) أخرجه الطبراني .

(٣) أخرجه الحرائطي وغيره .

وقوله : « إذا زنا الرجل خرج منه الإيمان فكان عليه كالنقطة ، فإذا أُلْعِج رج
إليه الإيمان (١) »

لأن الإيمان ليس الإقرار بوجود الله سبحانه فحسب ، بل التصديق بالنهج الذي
أقامه الله سبحانه للحياة ، في جوانبها الفردية والاجتماعية .

وإن الذي لا يؤمن بالنظام الخلقى الذي شرعه الله لعباده ويميز به مجتمع
المؤمنين ، فإنه ينتهى إلى الكفر بقائد الإسلام لا محالة .

هذا إلى أن فرض التريزة عدوان على أمن المجتمع وتبديد لسلامه .. إنها
معمل حدم يهدد كل قيمة قاضية في المجتمع بالقضاء .

وليس معها استقامة ولا جد ولا أمان ..

وكل أمة تدرك معنى الإنسانية لابد أن تحرم على حرب تلك القوضى والقتل
جنودها من المجتمع ، حتى لا تقى ولا تنكس .. وهذا معنى تكليف جماعة المؤمنين
بسلوك مسالك الاستقامة والغاف في قوله سبحانه « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم
ويحفظوا فروجهم » وقوله : « قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن
فروجهن (٢) »

وقد ميز الله أهل الإيمان بضبط التريزة وتوجيهها الوجهة القنطرة الصالحة ،
وأشار القرآن إلى أن مسلك القوضى إنما هو عدوان خطير يدمر المجتمع ويث الزهر
في أعمائه .. وذلك في قوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على

(١) أخرجه أبو داود والترمذي والبيهقي والمالك وألفظ لأبي داود .

(٢) سورة النور ٣٠ ، ٣١

أزواجهم أو ما ملكت أيماهم فليتهم غير ملومين ، فمن ابغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (١) »

حقاً .. إنهم عادون .. لا يقتضون بكفاية الحاجة عن الطريق المشروع وهو الزواج الصحيح بمنهجه المستقيم ، بل يتجاوزون ذلك إلى يث العوج والاختلال في العلاقات ، فيتصورون بخيالهم الرخيص أن كل الأعراض مباحة لهم ، وأن ذلك أحسن لهم وأجلب للنفس والسعادة ، وما دروا أنهم يشقون أنفسهم كما يشقون المجتمع كله ، وأن للجمع البشري لا يمكن أن يستقيم أمره على فوضى الترائز التي يتبعها انحلال القوس واختلال الأرواح ..

ولذلك بين النبي صلى الله عليه وسلم أن سلامة المجتمع المسلم وقوته وتماسكه ، مرهونة بإضاده عن الفاحشة ونجاته من أوبئها فيقول :

« لا تزال أمتي بخير متماسكة أمرها ما لم يظهر فيهم ولد الزنا (٢) » وفي رواية :

« لا تزال أمتي بخير ما لم يفتش فيهم ولد الزنا ، فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يسهم الله بذهب (٣) » .

وتلك حقيقة اجتماعية ملموسة النتائج ..

فإن الخطيئة لا تتمر إلا خطأ مضاعفة ..

ولإن إباحة الجلب لتراثر الجماعة لا تكون إلا على حساب أمن المجتمع واستقراره ..

(١) سورة التؤمتون ٥-٧ .

(٢) أخرجه أبو يعلى .

(٣) أخرجه الإمام أحمد .

وها هو المجتمع التربى الذى ظهر فيه ولد الزنا يشقى ويزداد شقاء . فقلت
الأمره روابطها ، ونخلت عن رسالتها فى التربية والتوجيه ..

وإن النذير الصادق فى هذا الحديث الشريف ليحذر الأمة الإسلامية أن
تتبع هذا التيار الإلحى للدمر ، وبطالها بأن تمتسك بجرى القضية ، وتستقيم
على منهج الأخلاق الإسلامية التى تفصل بين انجاء وآخر .. ذلك لأن فوضى
الفريزة لا تزال بالمجتمع حتى تهدمه ركننا وركنا ..
إنها تهدق قواه وتقنى طاقاته .

ولن نجد فى مثل هذا المجتمع فرداً سوياً يعرف همه ويدرك غايته فى الحياة ،
فنداء للتمه وإفراء اللفة يشيع التفريط والخلياة ، وعمل عرى الإيمان والاستقامة .
وأعظم خسارة تلحقها فوضى الفريزة فى مجتمع ما ، نصيب الشباب أولاً ،
وهو دائماً بمقد الأمل ومناط الرجا .. وعن هذا الطريق يتدفع إلى الجرائم
ويتسكب طرق الجد والسباح ..

كما أن الأمره فى المجتمع القوضى تحفكك روابطها وتهن قواها فتصرف
عن رسالتها وتحقق فى أداء واجبها ..

وبالجملة .. فإن فوضى الفريزة تشقى للمجتمع كله .. فرداً وأسرة وعائلات
وروابط ، وعندئذ يكون عذاب الدنيا أعجل لهذا المجتمع من عذاب الآخرة .
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « .. فإذا فشا فيهم ولد الزنا
فأوشك أن يعمهم الله بعذاب » ..

• • •

فإذا نظرنا إلى تلك الفوضى فى ذاتها فإننا نرى أن حصاد الخطيئة يدل على
أنها لا تصلح علاجاً للفريزة ولا استجابة سوية لما فهم فى حقيقتها لا تصل

بالتريزة إلى الفتاة والاكتفاء ، بل ترزدها تلقا وسعارا ..

وليس هذا ادعاء نظريا ، بل هي الصورة الواقعية للاثاء للحيان ، في المجمعات التي تسودها الإباحية والتي ينطلق فيها الناس من كل قيد ويكفرون بكل فضيلة .. فرغم أن الناس في المجمعات للمادية قد أهدروا كل المثل الخلقية وانخلعوا من ربة الحياء وانطلقوا من كل الضوابط التي تنظم حركة التريزة ، وهبطوا إلى القوضى النهائية التي لا تسخى ولا تسخى ، وأباح بعضهم لبعض حرية العلاقات بلا حدود .. رغم هذا كله لم تقع التراز ولم تسكن ولم تهدا ، بل زاحت طينانا وسعارا وانطلاقا ولا تزال ..

يقول صاحب كتاب « الإنسان بين المادية والإسلام » بمصرف :

« لقد ثبت من التجربة أن كثرة التذاء لا تطفى التريزة ، بل ترزدها اشتعلا حتى تصل بها إلى السار الجنون . وتلك هي النتيجة للنطقية التي تحقق مع الآراء النظرية ، ولكننا سنمتد شواهدا من الحياة الأمريكية .. فلو أن الاطشتن إلى الإباحة يؤدي إلى تهذيب التريزة وانقضاء ثورتها الجامعة مارأينا تلك الظاهر التي لا توجد بهذه الدرجة القليلة إلا مع الحرمان الشديد ..

فلم يقل أحد من شهدوا الحياة الأمريكية عن قرب وامتزجوا بها ، أن القى والفتاة حين يلتقيان هناك ، يلجان إلى شيء من التزل الذي تلجأ إليه بعض المحبوانات ذاتها قبل نزوة الأجساد . بل يقولون جميعا لهم يلتقون ، شبانا وشابات ، وفي عيونهم البهجة الواضحة والنداء للكشوف .

وهذا وحده دليل على أن شيئا من التهذيب لم يلحق هذه التريزة بالإباحة الكاملة للطفة . وهم يقولون لك إننا على عجل . ولا وقت لدينا لنفقه في التزل .

قيم م معجلون ؟ وما هذا الشغل للشاغل الذي لا يجد دقائق قليلة يكسب

فيها معة نفسية . إنهم يجرّون إلى نواديهم الليلية ليلسوا الميسر ، أو يشهدوا
السبينا أو حلقات المصارعة الوحشية .. الخ . وكل هذه كانت تستطيع أن تعبر
بضع دقائق لو وجدت الرغبة في النفوس .

فهى الحيوانية الجامحة التى لم تشبع بالانطلاق المجنون .

ولكننا لا نكتفى بهذا الشاهد وهو صريح فى الدلالة على ما نريد .

فانك تلمس زور العارية التى تملأ السينا والصحف والمجلات والإعلانات
والشوارع والمزدل والنواذى ولأحراج ١١ وما هذا إلا قبل النهم من التفتان
والفتيات على هذه الصور ؟ أما أنهم أن يُكبّ عليها للشرق « المحروم » كما
يزعمون .. ولكن هؤلاء .. ما بهم ؟ ولماذا يتفقون كل هذا الوقت والجهد فى
رؤية تلك الصور . لاجت قائلهم مصادقة لغضب ، بل فى أما كن خاصة
يسعون إليها سعيًا .. ولماذا يتابع منها الأعداد الهائلة قوم لا يشرون بلادة
للحرمان . ١٢

إن التريزة إذن لم تنطق . ولم تهذب ، وإنما اشتعل أولها وزادت لهفة
مع الانطلاق المجنون « ١٥ .

• • •

من هنا تبين أن فوضى التريزة ذاء اجتماعى وبيل ، لا يبق معه شئ من
الأمن ولا الإيمان ..

ولذا بين القرآن نكرها وكشف طريقها الويل ، وحذر من مجرد الاقتراب
منه .. فضلا عن سلوكه . لأن فيه دمار الفرد والجمع ..
وما أوجز وما أحكم ما قاله القرآن الكريم فى هذا التحذير :
« ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا » .

والقاحشة كلمة معبرة عن الشناعة والسيئ .. وتلك حقيقة في النظر الإنساني الأصيل ، لا تبدل على اختلاف الأجيال ..

ولما كان إجماع الأديان السماوية جميعاً على تحريم الخطيئة وكان تشديدها في عقوبتها .. والعلة في ذلك الإجماع واضحة .. إذ أن الخطيئة إذا تركت وشأنها اجثت النظام الاجتماعي للإنسانية من قواعده وأنت على بنيانه ، فإن بقاء النوع الإنساني واستمرار الحضارة والتقدم مرهون بقيام الأمرة على أساس متين وعلى عهد راسخ وما يتبع ذلك من صهي الإنسان لإسعاد أهله وذريته وما ينشأ عن ذلك من عواطف قيمة وعلاقات مثمرة ..

وحين نستعرض مواقف الشرائع السماوية من حقوبة القاحشة تبين سزم الإسلام في عقوبة ، وسدّه باب الخطيئة أمام التزوات للفلسفة .. وهو في هذا الوقت الحاسم يتوخى مصالح الجماعة الإنسانية كما يتوخى مصلحة الفرد نفسه .

ولم يفرق الإسلام في نظره إلى تلك الجريمة بين أن تكون الخطيئة مع محصنة أو غير محصنة ، ولم يقف هذا الموقف العجيب الذي وقفته بعض الشرائع المحرقة والقوانين للشوبة بالموى ، حيث فصلت بين الزنا المحض والزنا بزوجة الغير ، فاعتبرت الأول خطيئة بسيرة ، بينما اعتبرت النوع الثاني جريمة تستلزم العقاب .

وقد تأثر اليهود في تشريعهم بما كان يراه اليونان والرومان ، ومن هنا نلمح يذكر الزنا المحض في التوراة التي بأيدي اليهود إلا على أنه خطيئة كفارتها دفع توبيخ إلى والده الفتاة .. فقد جاء في كتاب الخروج :

« وإذا راد رجل جنراً لم تحطب فاضطجع معها يهرها لنفسه زوجة ، إن أبى أبوها أن يعطيه إياها يزن له فضة كهر الذلوى » .

وجاء هذا الحكم كذلك في كتاب الاستثناء بشيء من الاختلاف اللفظي ..

«بينما يلفظ التسود في العقوبة إذا وقت الخطيئة مع ابنة رجل من رجال الدين اليهود!»

وبهذه النظرة يتضح أن هؤلاء المحرّفين لا يستقبحون الفاحشة لذاتها ، ولكنهم يستكبرونها إذا كان فيها عدوان على حق النير .

يقول الأستاذ المودوى :

(وأما الأحكام للوجود في القانون اليهودي عن الزنا بامرأة الغير فهي : « وإذا اضطلع رجل مع امرأة اضطلع زرع ، وهي أمة مخطوبة لرجل ولم قدّ غداء ولا أعطيت حريتها ، فليكن تأديب . ولا يقتل لأنها لم تنق (١) » .

« إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بل ، يقتل الاثنان : الرجل للضطجع مع المرأة ، والمرأة » .

« إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها ، فأخرجوها كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجعوهما بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبة ، فتنزع الشر من وسطك . ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة في الحقل ، وأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذي اضطجع معها وحده . وأما الفتاة فلا تقبل بها شيئا (٢) » .

ولكن علماء اليهود وقضاةهم وعامتهم كأنهم سدّوا على هذا القانون ستر الإهمال ، وأنقوه فعلا منذ عصر قبل عصر عيسى بن مريم عليهما السلام ، حتى إننا لا نكاد نجد في تاريخ اليهود كله نظيرا لتنفيذه مع أنهم كانوا يقتضونه حكما لهما وكان مكتوبا عندهم في التوراة .

(١) كتاب التوبة ، الإصحاح الثاني والعشرون ، الآية : ٢٢

(٢) كتاب التوبة ، الإصحاح الثاني والعشرون ، الآيات : ٢٢ - ٢٦ .

ولما أن قام عيسى بن مريم عليها السلام بدهوته إلى الحق ، وجد علماء اليهود أنهم لاقبل لهم بالقيام في وجه هذه الدعوة ؛ أطلوا القسك ومكروا مكرا ، وأخذوا امرأة زانية وساقوها إلى عيسى بن مريم عليها السلام وقالوا له : أقض لنا في أمرها . وإنما يقصدون من ذلك أن يخرجوا عليه للوقف ، ويلقوه إما في البئر أو في الحفرة .

فهو إن قضى في أمرها بالرجم سلموه بالقانون الرومي في جانب ، وقالوا للناس في الجانب الآخر : هلموا أيها القوم وآمنوا بهذا النبي العجيب الجديد ، وقدموا له ظهوركم وثقوسكم لينفذ فيها شريعة التوراة بكل قوة ! وأما إن قضى في أمرها بقوة غير الرجم ، شوهوا سمته في الناس قائلين : كيف لكم أن تؤمنوا بهذا اللدعي للنبوّة ، وهو يغير شريعة التوراة ويلتفتها صراحة للمصالح الدنيوية .

ولكن عيسى عليه السلام جعل مكرهم الذي لا يبيح إلا بهم ، إذ قال لهم : من كان غيفا متكم فليقتلهم ويرمها بالحجارة . !
فبمجرد هذه القفزة انتشع من حوله جموع الفقهاء الكرام ، وانكشف للنظام من وجوه الحجة القديسين الأطهار للشريعة النراء .

ولما وجد المرأة قائمة عليه وحدها بذل لها النصيحة واستتابها وقال لها ارحلي . ذلك لأن عيسى عليه السلام ما كان قاضيا يقضى في أمرها بصفة رسمية ، ولا كانت هناك حكومة إسلامية تنفذ فيها القانون الإلهي .

وقد استنبط المسيحيون بعض استقطابات خاطئة من هذا الحادث ومن بعض أقوال عيسى للفرقة الأخرى ، قالها عند مختلف للواقع وجعلوا لهم تصورا جديدا لجريرة الزنا .

فإذا زنى عندم رجل بكر بامرأة بكر ، فإن فعلها - على كونه ذنبا - ليس بجريمة مستلزمة للعقوبة على كل حال .

وأما إذا كان أحد المرتكبين لهذا القتل - الرجل أو المرأة - أو كلاهما متزوجا فإنه الجريمة ، غير أن الذى يجعله الجريمة ، إنما هو قرض العهد ، لا « الزنا المحض » . فكل من أتى بفعل الزنا بعد كونه متزوجا ، فإنه مجرم لأنه قرض العهد الذى كان عقده مع زوجته - أو زوجها إن كانت المرتكبة امرأة - أمام اللذيع بواسطة القسيس . أما عقوبته على إتيائه بهذه الجريمة ، فلأنها هي أن يقيم زوجته عليه الدعوى وتشكو صدره إلى المحكمة ، وتطلب منها التفريق بينهما ، وكذلك ليس من حق زوج المرأة الزانية أن يقيم عليها الدعوى فى المحكمة ويطلقها أمامها فحسب ، بل له كذلك أن ينال غرامة مالية من الرجل الذى أفسد زوجته .

فهذه هي العقوبة التى يقررها القانون للسيحى للزناة للزوجين والزانيات للزوجات . ومن العجيب أن هذه العقوبة سيف يقطع من جانبيه فإن للمرأة وإن كان لها أن تقيم الدعوى على زوجها النادر وتنال من المحكمة حكم تريقها منه ، ولكن لا يجوز لها بموجب القانون للسيحى أن تنكح رجلا آخر طول حياتها . وكذلك الرجل وإن كان له أن يقيم الدعوى على زوجته النادرة ويضلل منها أمام المحكمة ، ولكن لا يبيح له القانون للسيحى أن ينكح بعدها امرأة أخرى طول حياته .

ومعنى ذلك أن كل من أحب من الزوجين أن يحيا فى الدنيا حياة الرهبان والراهبات فليحيا أن يشكو إلى المحكمة صدر شريكته - أو شريكها - فى الحياة ويطلب منها التفريق بينهما .

إن القوانين الثرية اليوم - وهى التى تدبها معظم بلاد المسلمين فى هذا الزمان - إنما تقوم على هذه التصورات المختلفة . فالزنا فى نظرها وإن كان حيا أو ذليلا

خلفية أو ذنبا ، لكنه ليس بجريمة على كل حال . والشئ الوحيد الذى يحوله إلى الجريمة ، هو الجبر والإكراه لأغير .

أما القانون الإسلامى ، فإنه على العكس من جميع هذه التصورات ، يقرر الزنا - من حيث هو - جريمة مستترة للواحدة والمقوبة ، ويتلفظ فى نظره شدة هذه الجريمة أن يرتكبها رجل متحصن أو امرأة متحصنة بالزواج ، لاهل أساس أنه قض العهد أو تمدى على فراش غيره ، ولكن على أساس أنه سلك قضاء شهوته طريقا غير مشروع ، على كونه متسكنا من قضائها بطريق مشروع .

والنظرة التى بها ينظر القانون الإسلامى إلى فحشة الزنا هى أنه إذا أطلق عنان الناس لإتيانها متى شاءوا ، فلها لتلبث أن تستأصل شأقة نوع الإنسان وتعدنه مها . فما يستلزمه الإبقاء على نوع الإنسان وتعدنه ، أن تكون العلاقة بين الرجل والمرأة محدودة إلى علاقة قابلة للاعتماد عليها حسب القانون . ولا يمكن أن تكون هذه العلاقة محدودة مادام الحيال واسعا معها للعلاقة الحرة ، فإن الناس إذا كان من اليسور لهم أن يقضوا شهواتهم بدون أن يصنعوا أعياء الحياة العائلية وتبعاتها ، لا يمكن أن يرجى منهم بحال أن يرضوا بتحمل هذه الأعياء والتبعات لمجرد قضاء هذه الشهوات نفسها (١) .

من هنا كانت العقوبة التى حددها الإسلام للخطيئة كاشفة عن استباحه لما على كل حال . . سواء تعلق بها حق من حقوق الغير أم لم يتعلق . . ولكنه يفرق فى تلك العقوبة بين حالة الإحصان وهو سبق الزواج الصحيح لارتكاب الخطيئة ، وعدم الإحصان . . فيجزل العقوبة لغير الحصن : أن يجلد مائة جلدة موجبة وسط جمع من المؤمنين ، ثم ينفى عن البلد الذى ارتكب فيه خطيئته ،

(١) راجع كشاف تفسير سورة النور للأستاذ أبى الأهل للودودى من ص ٣٩-٤٧

خفرب سنة، إعاداً له من الجوى الذى استولت عليه فيه وساوس الشيطان ..
غريباً استرد عفاة وعاد إلى الاستقامة والرشاد .
يقول الله سبحانه :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة
فى دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من
الؤمنين » .

ونفس فى هذه الآية استنارة شعور الاستقذار والاستنكار لتلك الجريمة
الشريرة ، فى ربط تنفيذ هذه العقوبة بالإيمان بالله واليوم الآخر : « إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر » ..

فالإيمان بالله واليوم الآخر يقتضى استقامة على التهج للخلق والاجتهاد الذى
لرضا الله سبحانه للحياة ، وادى جهله كفيلاً بتحقيق الحياة الطيبة التى هى جزاء
للمؤمنين فى الدنيا .

أما اشتراط شهود طائفة من المؤمنين لهذا المذاب الذى ينزل بالمخاطئين : فليكون
ذلك إقراراً من المجتمع بأن هذه عقوبة من ينشئ ما حرم الله .. وأنه لا استنكار
لهذا المذاب ولا رحمة للمخاطئين فهمهم من العقوبة .. بل لا رأفة ولا عنف ..
فقد كانت أمامهم سبل الللال الطيب لو أرادوا ، ولهذا قال سبحانه :

« ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » . لأن تطبيق هذه العقوبة .. رحمة
بالمجتمع كله وأمان من تلوثه كله بأوباء الخطايا وما تشيعه من دمار ..

أما عقوبة التثريب لنهر الحصن فقد وردت فى السنة الصحيحة ، فى قوله صلى
الله عليه وسلم : « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام (١) » .

جل إن الإسلام يرى عزل من تدنسوا بالخطيئة من الرجال والنساء عن غيرهم من الأغواء الطاهرين ، فلا يبيع للرجل الغنيغ أن يتزوج امرأة هوت إلى حماة الخطيئة . . لأن في ذلك حامية له من فساد الأعراض . . فقد كان بالمدينة بنائا مشركات وكانت لهن أموال ، فرغب بعض الفقراء من المهاجرين في تكاحهن . فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يأذن لهم ، وذلك حين نزل قوله تعالى : « الزاني لا يتكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا يتكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين » (١) .

وتلك عقوبة أخرى ، تضع هؤلاء الخطئين بعيداً عن حياة المجتمع الغنيغ ، ليسكون ذلك زاجراً آخر عن التددى إلى هذا العمل القبيح .

وقد جعل الإسلام عقوبة المحصن إذا ارتكب تلك الخطيئة :

أن يسلب حق الحياة . . فيقتل قتلة مؤلة له : رجماً بالحجارة . . وقد وردت تلك العقوبة في السنة ، من قل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضل أصحابه من بعده كما جاء في قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد خلافة وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« إن الله قد بث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب - فكان مما أنزل آية الرجم ، قرأناها ووعيثناها وعقلناها ، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا بعده ، فأخشى إن طلل بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحسن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة ، أو كان الحليل أو الاعتراف » (٢) .

وقد يرى قوم من القدين لا يدركون حكمة الإسلام في تشريعه أن هذه عقوبة قاسية . . تقضى على الإنسان بالوت جزاء زلة وقع فيها !

واسكن الله سبحانه الخبير بعباده علم بأن هذا الإنسان الذى أيعت له
الطيبات ، والذى وجد من الحلال ما يقى بحاجته ، ثم لم يقف عند حدّ الحلال ،
بل تعداه إلى الحرام . . لن يقف فى عدوانه عند حدّ ، ولن يقنع من الخطيئة
بشيء مهما قال ، فلا يزال جرثومة داء قشرى فى المجتمع كله العوج والاختلال ..
ولو كان سليم الفطرة لما تجاوز الحلال إلى الحرام ، ولما رأى فى فوضى
التريزة سيلا يتبع ، بعد أن قال الله سبحانه :
« إنه كان فاحشة وساء سيلا » . .

ومن هنا يحسم الإسلام الأمر بالقضاء على هؤلاء اللعدين القين لا يقتصر
شئ فى أمر الشهوات مهما كان ..
« فن ابنى وراء ذلك فأولئك هم العادون » .

إن هذه الترائز التى انطلقت من مقال القضية ، وتغلّت عن مبادئ
الإيمان لن تدع للمجتمع حق تنقيح كله ، وتسلب منه الغفاف والامتقانة . .
أفلا يكون من الرحمة تنقيح منها وحايته من ضرورها ؟
ثم .. أليس فى تلك العقوبة الزائرة ما يذود كل من يسول له هوله
الافلات من ضوابط الإيمان وأخلاقه ..

وهو يعلم أنه إن فاته العقوبة فى الدنيا ، فلن تهوته العقوبة الماثلة يوم
القيامة ، كما جاء فى الحديث النبوى الصحيح :

« فن أصاب من ذلك شيئاً فزوق به فهو كفارة له ، ومن أصاب من
ذلك شيئاً لمستره الله عليه ، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه » .

وقد ورد هذا العذاب الشديد لتهم التائبين فى قوله سبحانه :

« .. ولا يزنون ، ومن فعل ذلك يلق أثمّاً ، يضاعف له العذاب يومئذٍ

القيامه ويخلف فيه مهاتنا ، إلا من تلب وآمن وعمل عملاً صالحاً (١) .

• • •

قد كان الحسم والجزر في عقوبة القوضى في سلوك التريزة ، ضرورة اجتماعية ، نُظر فيها إلى مصالح الجماعة ، كما نُظر فيها إلى حماية الفرد ذاته ، وقد كان على الأمة الإسلامية أن تستمسك بشريعتها وأن تتبع نهج الإسلام في الحفاظ على كيان المجتمع ..

ولكن المؤسف أن كثيراً من البلاد الإسلامية قد نبذت أحكام الشريعة الإسلامية واستبدلت بها قوانين وضعية صادرة عن مبادئ غير إسلامية .

والقارة الوضوعية بين عقوبة الزنا في الشريعة الإسلامية وعقوبتها في القوانين الوضعية ، تظهر أن الشريعة الإسلامية حكيمه وحاسمة ، لأنها من تقدير لتبصير البصير ، المحيط بنوازع الإنسان ، العليم بما يصدر عنه من عمل ..

ويتبين ذلك بالآثار الناجمة عن هذه القوانين الوضعية في موقفها من العقوبات .

ولتسمع هنا رأى عالم بالقانون بصير بآثاره ، يقول :

« تعاقب الشريعة الإسلامية على الزنا باحتباره مأساً بكيان الجماعة وصلاحها ، إذ أنه اعتداء شديد على نظام الأسرة ، والأسرة هي الأساس التي تقوم عليه الجماعة ، ولأن في إباحة الزنا إشاعة للفاحشة وهذا يؤدي إلى هدم الأسرة ثم إلى فساد المجتمع وانحلاله ، والشريعة تحرص أشد الحرص على بقاء الجماعة متماسكة قوية .

أما العقوبة في القوانين الوضعية فأساسها أن الزنا من الأمور الشخصية التي تمس علاقات الأفراد ولا تمس مصالح الجماعة ، فلا معنى للعقوبة عليه ما دلم من

راض ، إلا إذا كان أحد الطرفين زوجا ، ففي هذه الحالة ياتى على القتل
حماية لحرمة الزوجية .

ولعل ما حدث في أوروبا والبلاد الغربية عامة ، يؤيد نظرية الشرية ، فقد
تحلت الجماعات الأوربية وتصدعت وحدتها وذهب ربحها ، وما قللك من سبب
إلا شيوع الفاحشة والفساد الخفي والإباحية التي لا تعرف حداً تنهى إليه .

وما أشاع الفاحشة وأفسد الأخلاق ونشر الإباحية ، إلا إباحة الزنا وترك
الأفراد لشهواتهم ، واعتبار الزنا من الأمور الشخصية التي لا تمس مصالح الجماعة .

ولعل أشد ما تواجهه البلاد غير الإسلامية اليوم من أزمات اجتماعية
وسياسية يرجع إلى إباحة الفاحشة فقد قلَّ النسل في بعض البلاد فله ظاهراً تنذر
بقضاء هذه الدول أو توقف نموها ، وترجع قلة النسل أولاً وأخيراً إلى امتناع
الكثيرين عن الزواج ، وإلى النقم الذي انتشر بين الأزواج .

ولا يتنعم الرجل من الزواج إلا لأنه يستطيع أن ينال من المرأة ما يشاء في .
غير حاجة إلى الزواج ، ولأنه لا يثق في أن المرأة ستكون له وحده بعد الزواج ،
وقد اعتاد أن يجعلها مشاعاً بينه وبين الغير قبل الزواج .

والمرأة التي كانت أميتها الأولى الزواج ، ووظيفتها التي خلقت من أجلها .
إدارة البيت وتربية الأولاد ، هذه للمرأة أصبحت في كثير من الأحوال تفر من .
الزواج ، ولا ترضى أن تستأجر لرجل تال ما عنسده ، وتقتل نفسها بالقيود .
والأخلاق .

وقد أدى شيوع الزنا إلى مقاومة الحمل من جهة ، وانتشار الأمراض السرية .
من جهة أخرى ، وإذا كانت مقاومة الحمل تؤدي في كثير من الأحوال إلى
عدم النساء ، فإن انتشار الأمراض السرية يؤدي في المقابل إلى عدم الرجال والنساء .
على السواء .

وكانت المرأة تعيش في كنف الرجل في ظل الزواج ، فلما أضرب الرجل عن الزواج كان لابد للمرأة من أن تعيش ، فاضطرت إلى مزاحمة الرجل في ميدان العمل لتتأكل قوتها ، فأدى هذا إلى نشأة البطالة وشيوع للبادئ الهدامة ، وألقي بشعب أوروبا في بحر لجي يزخر بالقوض والاضطراب .

ويستطيع الإنسان أن يرتب على هذه المقاصد الاجتماعية نتائجها الخطيرة ، دون أن يخطئ الحساب ، ولو تدبر هذه النتائج القائلون بأن الزنا علاقة شخصية لعلوا أن الزنا من أخطر الجرائم الاجتماعية ، وأن مصلحة الجماعة تقتضى تحريمه في كل الصور ، وللمتقية عليه أشد العقاب ، وعلى هذا الأساس حرمت الشريعة الإسلامية الزنا لتجنب الوصول إلى تلك التلويح الخفية ، وقررت أشد العقوبات للزناة ، حتى أنها اعتبرت من يزني بعد إحصائه غير صالح للبقاء ، لأنه مثل سبي^(١) وليس للمثل السبي في الشريعة حق البقاء^(٢) .

إن الإسلام حين شدد في عقوبة فوضى التريزة إنما رمى بذلك إلى دفع خطر يهدد الحياة بالهدار والقناء .

يقول صاحب « التللال » :

« إنما أراد الإسلام بحاربة الحيوانية التي لا تفرق بين جسد وجسد ، أو لا تهدف إلى إقامة بيت وبناء عش ، وإنشاء حياة مشتركة ، لا تنهى فاتهاة اللحظة الجسدية التليفة^(٣) وأن يقيم العلاقات بين الجنسين على أساس من الشاعر الإنسانية الراقية ، التي تجعل من التقاء جسدين التقاء قسرين وقلبين وروحين ، وبصير شامل التقاء إنسانين ، تربط بينهما حياة مشتركة وآمال مشتركة وآلام مشتركة ومستقبل مشترك يلتقي في القرية المرتقية ويتقابل في الجيل الجديد الذي ينشأ في العش للشرك ، الذي يقوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان .

(١) للتفريع الجنائي في الإسلام ص ٣٤٧ . بصرف .

من هنا شد الإسلام في عقوبة الزنا يومه نكسة حيوانية، تذهب بكل هذه المعاني وتطيح بكل هذه الأهداف ، وترد الكائن الإنسانى مسخاً حيوانياً لا يفرق بين أنثى ، وأنثى ، ولا بين ذكر و ذكر . مسخاً كل هم لإرواء جوعة اللحم والدم في لحظة عابرة . فإن فرق ويميز فليس وراء الله بناء في الحياة ، وليس وراءها عمارة في الأرض ، وليس وراءها نتاج ولا إرادة تحتاج إلى ليس وراءها عاطفة حقيقية راقية ، لأن العاطفة تحمل طابع الاستمرار . وهذا ما يفرقها من الاضلال للفرد المتقطع الذى يحسبه الكثيرون عاطفة يتفنون بها ، وإنما هي اتصال حيوانى ينزى إلى برزى العاطفة الإنسانية في بعض الأحيان !

إن الإسلام لا يحارب دوافع القطرة ولا يستقذرها ، إنما ينظمها ويطهرها ، ويرفها عن المستوى الحيوانى ، ويرقيها حتى تصبح لطور الذى يدور عليه الكثير من آداب النفسية والاجتماعية . فأما الزنا - وبخاصة البناء - فيجرد هذا الليل القطرى من كل الرفرافات الروحية والأشواق السلبية ، ومن كل الآداب التى تجسمت حول الجنس في تاريخ البشرية الطويل ، ويديه عارياً غليظاً فترا كما هو فى الحيوان ، بل أشد غلظاً من الحيوان ، ذلك أن كثيراً من أزواج الحيوان والطير تعيش متلازمة ، فى حياة زوجية منظمة ، بعيدة عن القوضى التى يشيها الزنا فى حضن بيتات الإنسان .

والحق أن فوضى التريزة تستوجب ذلك الازدراء كله .. بل أهول منه وأشد .. فما من حاجة إليها ، بعد ما أياح الله لعباده الملاة الطليحة العلية التى تشرع ثمراتها المباركة للفرد والمجتمع ..

وفى ظل هذه الملاة الشروعة تستقيم التريزة ويذهب عنها الإلحاح والمكدان ، وتعرف الطمأنينة والاستقرار ..

ولكن السبب أن دعوات القوضى قلب للوازن وتمكس الأوضاع ..

فهى تصور علاقة الزواج المشروع فى صورة بنىضة منفردة ، فضله غلاً قتيلاً
وعيناً قادساً ، فيما تزين للناس حياة الإباحية والانطلاق ، ففرضها فى صورة
محبة قبيح الإنسان متاعاً لا يزول !

بذلك تطلق ألوان من الفنون والآداب .. تُضرى الناس بالتدنى ..
وتردّهم شرّاً من بعض أجناس الحيوان !!

وهامى حقائق العلم وتجارب الحياة تثبت النتائج التى لا شك فيها ، وتدلّ
على أن إطلاق العنان للفريضة يشقى الإنسان نفسه ويمرّمه السعادة والاستقرار ..
وبنها كما وصفها القرآن .. « فاحشة » فيبصّة مركزوز فى الطباع استغفامها
والنكير عليها .. وساء ذلك السبيلُ للظلم طريقاً يسلكه عاقل ، أو يرضاه
لنفسه مجتمع يقدر أمانة الحياة.

ألا صدق الله تعالى .. وكذب المفترون الذين يسوءهم أن يروا البشرية
تسير فى طريق الرشاد . . .

صَبْطُ الْغَرِيزَةِ وَتَوْجِيهٌ هُما

يَقِينَا أَنَّ الْإِسْلَامَ يَمُرُّ لِلْإِنْسَانِ حَقَّهُ فِي تَلْيِيقِ الْغَرِيزَةِ ، وَلَا يَهْدِيهِ إِلَى كَيْفِيَّتِهَا ، وَلَا يُوَحِّدُ إِلَيْهِ بِاسْتِغْذَارِهَا وَالْتِمَاضِ عَنْهَا فَإِنَّ لِكُلِّ الْغَرِيزَةِ مَكْلَفًا فِي نِظَامِ الْحَيَاةِ وَفِي طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ .

وَلَكِنْ هُنَاكَ طَرِيقًا وَاحِدًا لِلِاسْتِجَابَةِ لِلْغَرِيزَةِ ، فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ هُوَ الزَّوْاجُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي ارْتَضَاهَا الْإِسْلَامُ .

ذَلِكَ : لِأَنَّ فِيهِ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ : بِنَاءُ أُسْرَةٍ ، وَتَنْظِيمُ عِلَاقَةٍ تَنْصِلُ الْحَيَاةَ وَتَرْقِي بِمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِ وَتَهْدِيهِ مِنْ طَلَبِهَا .

وَلِأَنَّهُ الْوَسِيلَةُ لِلتَّلِيِّ الَّتِي تَجِدُ فِيهَا الْغَرِيزَةُ مَا تَنْشُدُهُ مِنْ اسْتِجَابَةٍ مُتَوَازِنَةٍ ، لَا تَحُلُ بِطَمَآنِينَةِ الْمَجْمَعِ ، وَلَا تَرْعِزُ بِنَاءِ الْأَخْلَاقِ فِيهِ .

وَلِأَنَّهُ كَذَلِكَ الْحَرْثُ الَّذِي تَدُو فِيهِ عَوَاطِفُ الْخَيْرِ وَمَشَاعِرُ الْإِثَارَةِ وَالْمُضْمِحَةِ ، فِي رِعَايَةِ الْجِلِّ الْجَدِيدِ .

• • •

وَالْإِسْلَامُ يَرَى أَنَّ الْقِنْدَرَةَ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا تَحْتَضِي أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ رَجُلٍ سَوِيٍّ زَوْجَةٌ يَسْكُنُ إِلَيْهَا وَتُشَارِكُهُ أَهْمَاءَ حَيَاتِهِ .

يَقُولُ اللَّهُ مَجِيئًا :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ » .

وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الْمَجْمَعِ الْإِسْلَامِي كُلَّهُ يَجْعَلُ تِلْكَ لِلْمُسْئِلَةِ ، فَعَلِيهِ أَنْ يَبْهِيَ نَظْرَهُ بِحَيْثُ يَسِيرُ السَّبِيلَ لِكُلِّ مَنْ يَضِي بِنَاءَ أُسْرَةٍ عَلَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ الْقَائِمَةِ .

ولهذا يحبه الخطاب في القرآن إلى جماعة للؤمنين ، في قوله سبحانه :
« وأنكروا الأباى مفكم والمعالين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا قراء
ينهم الله من فضله » . (١)

وفي قوله سبحانه « إن يكونوا قراء ينهم الله من فضله » رد على الذين
يحملون من الضيق الاقتصادى ذريعة للدعوة إلى الإعراض عن الزواج ، أو حجة
لتبرير التهاون في الحفاظ على الأخلاق ..

فحين تصدق الزائم وتخلص النيات فإن الزواج قد يكون باعثاً قوياً على
السعى والكسب وإبقاء فضل الله ، وفي ذلك عمران للمجتمع وشد من أزر بنيائه .
وهذا الوعد الإلهى حقيقة من حقائق الاجتماع الإنسانى في نظر للؤمن ،
وهى حقيقة يجب أن تستقر في نظام المجتمع ، كما بين ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله :

« ثلاثة حق على الله أن يمينهم ، وذكرهم منهم : للزوج الذى يريد
العفاف (٢) » .

وأيما كان الأمر فيمن يعضى العفاف بالزواج ، فإن النظر الإسلامى للقيم
يحمل على بيت مال للسلمين ، وعلى المؤسسات الاجتماعية أن تقدم له العون وأن
تيسر له سبل العمل والكسب ، فإما تقدم له اليوم مستجيباً غداً .. في أسرة صالحة
وأفراد مخلصين ..

وقد فلتت إلى تلك الحقيقة دول أوربية أدركت أن قيام الأسرة صبة
يجب ألا يجعله الفرد وحده ، بل على الدولة أن تعينه عليه ، فجلت إعانة سنوية
تقدمها لكل أسرة تزداد بزيادة أفرادها ..

(١) سورة النور ٣٢ .

(٢) أخرجه الترمذى والنسائى والمالك .

وذلك هو النظر البصير ، الذى يطلع الحقيقة الاجتماعية من كل جوانبها ،
ولا يتبع الأفراد يشقون فى سلوكهم ويشقون المجتمع معهم .

إن الإسلام ينظر إلى الزواج على أنه ضرورة للفرد السوى ، كما هو ضرورة
للمجتمع كله من ناحية قيام الأسرة وبقاء الأجيال .

ولذا يحض الإسلام كل قادر على الزواج ، ويسر أمامه السبيل ، حتى يقطع
الطريق أمام دعوات الشذوذ والانحراف .

فإذا بد أن يذكر القرآن أن الزواج هو السلوك الأمثل ، وليس الرهبانية
ومقاومة توازع الفطرة .

فهو سلوك الأنبياء والرسلين ، وهم للثل الأعلى للإنسانية ، فلا مكان بعد ذلك
لمن يحاولون التأتبى على طيبة الإنسان ..

يقول الله تعالى : « وقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية (١) »
ومن أولى بالنزوع إلى الكمال وابتغاء الرشاد .. من صفوة خلق الله وأكرم
صالحه .. ١٢ ..

وحين ظن بعض الصعابة أن الأولى بهم الانقطاع إلى العبادة والترف من حياة
الأمرة والتخفف من أعباء الزواج ، لم يرض لهم ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وأرشدهم إلى أن مسلك التزهيد لا يقرهم إلى الله سبحانه ، ولا يرفع درجاتهم
عنده ، وضرب لهم للثل بنفسه صلى الله عليه وسلم ، فهو مع شدة خشية الله وكمال
إخلاصه فى عبادة وقربه منه لم يترف عن الزواج ، ولم يحرم الطيبات على نفسه ،
لأن الإسلام دين لا يصادم الحياة ولا يقف فى وجه الفطرة ، بل يستجيب لها
ويروئى حاجاتها فى سهولة ويسر .. وذلك هو السلوك الأمثل الذى ينبغي للمسلم
أن يحرم من عليه .

قد روى البخاري أن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فذكروا أمر العباد، فذهبوا يسألون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عبادته فلما أخبروا بها فكأنهم تقالروا، — أي رأوا مقتصد — قهقروا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد عقر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا فتني أصل الليل أبدا ..

وقال آخر : أنا أصوم الحمر ولا أفطر ..

وقال آخر : أنا أعزل النساء فلا أتزوج أبدا ..

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ »

أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر وأصل وأرقد ..

وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني (١) .

هذا هو الحق .. لارهبانية ولا مقالمة لفطرة في الإسلام ..

وقد استأذن أحد الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التبتل وإماتة دواحيه.

التريزة لم يأذن له (٢).

بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب للمسلمين في تحمل أعباء زواج يشق.

وسائل الترهيب .. وهل هناك أشد ترغيباً فيه من أن يعلم المسلم أن هذا هو طريق

الفطرة .. وهو أيضاً مذهب السنة .. « من أحب فطرته فليستن بسنتي ، وإن

من سنتي النكاح (٣) » .

ويكفي للمسلم في ذلك أن يرى القرآن قد وضع نعمة الأسرة موضعاً بين نعم

الله على عباده .. فليعلم قبل نعمة الرزق من الطيلت ..

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه الحجة إلاها داود .

(٣) رواه البيهقي .

« والله جبل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بين وخفية
معدوزكم من الطيبات (١) ».

إنها نعمة ورحمة . . . ووقاية من الفت والشقاء . . . ولذلك جعل الرسول صل
الله عليه وسلم الزوجة الصالحة خير متاع الدنيا . . . وذلك في قوله : « الدنيا متاع
وخير متاعها للمرأة الصالحة (٢) » .

• • •

إن الزواج كما يرى الإسلام هو النظام الأمثل الذى يضمن حل مشكلة التفرقة
دون إعانت الفرد أو تدمير للمجتمع ..

إنه علاج ناجح يشفى أمراض التفرقة ويرممها من الإلحاق الدائب والنشاط
المتفرد ..

وهذا ما يفهم من تصوير القرآن لتلك العلاقة الطبيعية ، وما فيها من سكن
ومودة والمثنان . .

: « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم (٣) » .

فهنا لا موضع للخطر أو للنم . . ولا مكان للخوف أو الريبة ، ولا شعور
بالخاتلة أو الانتهاب . . كما هو الحال في فوضى العلاقات ..

وقد جاء في أحكام الإسلام ما يحقق استجابة الزواج لدواعى التفرقة وكفاية
مطالبها السكل من الزوجين . .

فمن ناحية الرجل . . يتيح له الإسلام الفرصة لينتظر زوجه عن رضا ورغبة
ويبتعد تجارب واحتصان ومن هنا كانت مشروعية المطلية . . إذ هى مقدمة

(١) سورة النحل ٧٢ .

(٢) رواد مسلم .

(٣) سورة البقرة ٢٢٣ .

للزواج قبح لزوج فرصة التصرف على شخصية زوجته بأبعادها الشكلية والنفسية قبل الإقدام على الزواج .

وقد شرع فيها النظر إلى الخطوة ليرى الخاطب : هل يجد فيها الصورة التي يبتغيها وهل يوحى إليه تمتعه للاعجاب بالنفسية والجسمية بالسكن والموءدة ؟ حتى لا يقع بعد ذلك الفور والشقاق .

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعو به إلى نكاحها فليقل » .
قال جابر : خطبت امرأة من بنى سلمة ، فكفت أخوتي لها ، حتى رأيت منها ما دعاني إليها ^(١) .

بل كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرضى عن الزواج الذي يهمل فيه التصريح والتصرف على خصائص الزوجة وسماها ، لأن مصير هذا الزواج التامض غالباً :-
التفشل في تحقيق الأهداف النفسية والاجتماعية التي يرى إليها . .

قد خطب للنيرة بن شعبة امرأة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :-
« أنظرت إليها ؟ » قال : لا : قال له « انظر إليها ، فإنه أحرى أن يؤذى بينكما » .
أى : ثبت علاقة للزواج وتستقر على أساس متين .

كما خطب رجل امرأة من الأنصار فقال له الرسول : أنظرت إليها ؟ قال : لا .
قال : « فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً » .

وما ذلك إلا لحرص الإسلام على أن يقوم الزواج على أساس متين يجعل عناصر الاستقرار ، ويستجيب للطلبات النفسية وللأدية ، فلا يدع مجالاً لفساد الترائز وانحراف السلوك .

(١) أخرجه أبو داود .

فلذا قام بناء الأسرة بين الزوجين .. فإن من فرائض الإسلام على الزوجة أن تلبى رغائب القطرة في نفس زوجها .. وهى فى ذلك تطيع زوجها وتبغى رضاه .
فلما أبد الفرق بين زودت القوضى .. وبين طيب الحلال .. اتقى يصل إلى درجة العبادة .. ومحاط بالرضا والتسكريم .

وعكذا يرد الإسلام للإنسان أن يضئ فى ظلاله حاجاته القطرية المشروعة .
فإن تصدى إلى القسوق والفتيان .. فلا كرامة له ولا أمان .

أما إذا فشلت الزوجة ولم تستجب لزوجها فلها نخل بناية الحياة الزوجية ،
وقفتح على الأسرة باب الشقاء والومن ، وهى حينئذ مريضة تتطلب العلاج والتقصوم .
فإن تبين أن ذلك يعود إلى غرور منها أو كراهة ، فلا معنى حينئذ لبقاء العلاقة الزوجية . بل ينصرف كل منهما إلى سبيل آخر « وإن يفرقنا الله كلامنا
سنة » وتقصيل الأحكام فى هذا الموقف فى مواضعها من كتب الفقه .

بل إن من توجيهات الإسلام للزوجة أن ترى أن واجبها الأول فى حياتها
الزوجية أن تهيم زوجها الرضا والأمن النفسى ، وألا تشغره بالحرمان عما أباح
الله له .

حتى العبادة النافقة .. لا ينبغي أن تكون حائلا بينها وبين تحقيق ذلك له ..
ومن هنا لم يبيح الإسلام للزوجة أن تصوم صيام تطوع وزوجها مقيم معها إلا
بإذنه .. حتى تعلم الروجة أن إسماعدا لزوجها وإطاعته على سلوك سبيل الاستقامة
والرشاد حياة وطاعة .. وإسهام فى إصلاح المجتمع واستقامته على أمر الله . ويكفى
الزوجة أن ترى تلك الصورة الثالية التى رسمها الحديث الشريف للزوجة الصالحة
وفيهما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وإن نظر إليها سرته (١) » .

(١) أخرجه ابن ماجه

وفي هذه الصورة تنوam الصفات النفسية مع الصفات الجسدية لتلقى ظلال
للرضا والقناعة والاطمئنان .

بل إن من العنايق التي هدى إليها الإسلام في توجيهه للأسرة ، أن كره
للرجل أن يترك أهله ليلاً إذا كان في سفر ، أو أن يفاجئهم نهراً دون إعلام .
وعلة ذلك كما جاء في الحديث الصحيح : « كي تمتشط الشبهة وتستعد للغبية^(١) »
أي تتخذ زينتها وتحب لقاء زوجها ، فلا يقع نظره منها على ما يكره .

وذلك يوضح حرص الإسلام على أن يجد الرجل في رحاب الزواج ما يشده
ويمسده ، ويكف بصره عن التطلع إلى ما حرم الله عليه .

وما يزال الإسلام يهتف بالمرأة أن ولجها الأول هو إسماع الزوج وإتاحة
الطمأنينة والاستقرار النفسى له حتى يجد في البيت جنة وارفة الظلال .

ولهذا جاء في الحديث الشريف ذلك الوعيد للمرأة النافذة التي لا تمتنع زوجها
طاعتها الحامية ، ولا همي^٢ له أسباب السعادة في بيته .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لارفع صلاتهم فوق رؤوسهم -
أى لايقبلها الله منهم - منهم : « امرأة باتت زوجها عليها غضبان^(٣) » .

وللرأدهنا بالزوج الصالح المستقيم الذي لا يتعدى حدود الله ، فيغضبه إنما يكون
بظلمه والمدوان على حقوقه .. أما إن كان الزوج فاسقا .. فلاقيمة لنصيبه إن كان
خارجا عن حدود الشريعة .

ومن الجانب الآخر يشر الإسلام المرأة الحامية المألوف التي تمنح زوجها
أسباب الرضا والسعادة .. فذلك سيلها إلى نيل رضوان الله والتقوى بثوابه .

وفي ذلك يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه :

(١) أخرجه ابن ماجه من ابن عباس .

(٢) أخرجه الترمذى .

« أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

وتكتمل أسباب الأمن في الأسرة حين يحمي الإسلام الزوجة من تيارات
النفس والانعزاف ، ويجعل تهنئتها في زوجها وتحميها عليه جريمة كبرى
يستحق مقترفها اللعنة .. حتى تخاف كد في الأسرة أسباب الاستقرار ..

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

« ملعون من خيب امرأة على زوجها » أي أقصد ما بينها من مودة .

وهذه كلها إشارات موجزة ، تحمها تفصيلات وفروع .. ولكنها تدل
بوضوح على عناية الإسلام بأن يصبح الزواج هلاًجاً حقيقياً لأدواء التريزة ،
واستجابة كاملة لأشواق النفس ، وإرضاء صادقا لمشاعرها ..

ولا يرد الإسلام أن يصبح الزواج علاقة شكلية تخفى وراءها اللآسى
والفواجع .. ثم ينطلق كل من الزوجين على هوله كما تصنع الحضارة للادية في
كل المجتمعات ..

ومن هنا نجد نظرة الإسلام إلى حقوق الزوجة ترى لما مآرعتة الزوج من
مصلحة وتكفل لها ما كفله للزوج من دعائم الرضا والاستقرار ..

ذلك لأن النساء شقائق الرجال : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » ..

لقد قرر الإسلام حق الزوجة في اختيار زوجها .. وجل مرجع الأمر إلى
رضاها ، فلا تُكره .. ولا تجبر على الزواج ممن تُكره ..

وذلك واضح في قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن (١) » .

(١) رَوَاهُ الْإِسْلَامُ :

وذلك رعاية للتوافق النفسى بين الزوجين ، واقتناع كل منهما بأن حياته مع الآخر ممكنة .. ومسلطة كذلك ..

فإن وقع الزواج بإكراه الزوجة وإجبارها على القبول فليس بصحيح شرعا . ولا يرضى عنه الإسلام لأنه بناء أقيم على غير أساس ، فلا يلبث أن ينهار .
ويمكن الزوجة للسكره أو الجيرة أن ترفع الأمر إلى القاضى فيفسخ تلك العلاقة ..

وذلك اقتداء بفعل النبى صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءته امرأة تشكو إليه أن أباه زوجها وهى كارهة . فسخ الرسول صلى الله عليه وسلم زواجها وترك لها الأمر لاختار ..

ومع أنها عادت فاختارت الزوج الذى أكرهها عليه أبوها إلا أنها أرادت بفعلها هذا أن يعلم الآباء أنه ليس لهم إجبار بناتهم على الزواج عن يكرهن .
وهذا إلى جانب تسكره للمرأة وقريره لاستقلال شخصيتها بحياة الأسرة .
أن تؤسس على شفا جرف حار . يوشك أن ينهار .

فلذا تم الزواج فإن الإسلام يوجب على الزوج أن يرضى حقوق زوجته ، وأن يعلم أنها مثله .. تحمل خصائص النفس البشرية ونوازعها وغرائزها للتوارث .
ومن هنا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « وإن لأهلك عليك حقا » .. ويرى الإمام النزال فى الإحياء : أن إحسان الزوجة وإضافتها واجب على الزوج ، إلى جانب الحقوق للمادة التى بها قوام الحياة .. وبذكر النزال فى ذلك حديثا نبويا يرشد الزوج إلى التلطف فى علاقته الحسية بزوجته ، وأن يرضى عماقتها ويعرف السبل إلى قلبها (١) .

(١) الحديث رواه أبو منصور العجلي فى مستند الفردوس من حديث أنس .

ولا يحق للزوج أن يهجر فراش زوجته إلا عند نشوزها . وهنا يكون المجر من أساليب التأديب والتصويم ، كما جاء في قوله تعالى : « وللمأتنفذين نشوزهم . فظنهم واهجروهم في المضاجع واضربهم ، فإن أطعكم فلا تنبوا عليهم . سبيلا » (١) .

ويبلغ الإسلام قمة الوافية للصادقة ، حين يقرر حق لزوجة في أن تنفصل عن زوجها إذا شئت ، حين تمل قدرته التريزية ويثبت الطلب أن لا أمل في الشفاء . حتى لا يكون في إكراهها على البقاء معه عاجزاً ، دافع لها إلى الانحراف ، أو ظلم لها بمعاملة مشاعر الشفاء . فلا يكره الإسلام الزوجة على الإقامة في علاقة شكلية كاذبة ، في وضع يحاقى القطرة ويتناقى مع طيبة الزوج ، ولا يطلب منها السكبت أو الإماتة أو خداع النفس . فذلك شيء لا يراه الإسلام .

بل إن الإسلام ليرعى للمرأة هذا الحق في كل تنظيانه وتشريعاته ، حتى في حالة الجهاد في سبيل الله ، فلا يباحد بين الزوجين مدة تتأذى منها علاقة الزواج . وهذا وضع لم ينشأ إلا في عهد الفتوحات الإسلامية ، أما غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كانت قصيرة الأمد محدودة المسافة ، فكلها كانت في أمعاء قريبة من جزيرة العرب .

ومما رواه البيهقي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان يمر وهو خليفة في أنحاء للديلة ليلاً ، فسمع امرأة غلب عنها زوجها في الفتوحات الإسلامية ، وكانت تنفى بشر يوحى بشوقها إلى زوجها وإحساسها بالألم لمراته .. فأرسل الخليفة لقواده في جيهاات القتال ، يأمرهم ألا يجسوا جنديا عن أهله أكثر من أربعة أشهر .

وفي هذا نظر حر رضى الله عنه إلى بقاء المجتمع الإسلامي متمسكاً بانيته حريصاً على استقامته ، بعيداً عن الخلداع والزور .. فذلك أجدى من تجاهل الحقائق والإغضاء عن السيوب .

ولهم أن الإسلام لا يسرق بالسلالات المحسنة ، أو التي تكون صورة ظاهرة تخفى وراءها الآلام .

ولهذا كان حكم الإسلام حاسماً في تحريم ما كان يقع في الجاهلية من عدوان على المرأة وسفاهة يحقها للشريعة .. قد كان الرجل إذا فر من زوجه أو أراد الإضرار بها آلى على نفسه أن يهجرها هجراً دائماً أو طويلاً .. وكانوا في الجاهلية يعدون هذا الإيلاء طلاقاً بائناً لا رجعة فيه ، ولكن الإسلام حرم هذا العدوان وأبطل حكمه ولم يعتبره نوعاً من أنواع الطلاق ، بل يميل الزوج الذي آلى على نفسه أربعة أشهر . قلل مشاعره تهدياً . ولله ينصف زوجه من نفسه . فإن لم يعد إلى علاقته الطبيعية معها ، فإن عليه أن يطلقها ولا يدعها معلقة . فإن أوى طلقها عليه التراضي .

وذلك هو الحكم القرآني الذي جاء في قوله تعالى :

« الذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم (١) » .
وكذلك الحال بالنسبة للظهار ..

قد كان الرجل في الجاهلية حين يشتد غضبه على زوجه ويريد أن يقطع ما بينهما من علاقة قطعاً بائناً . يحرمها على نفسها : كأن يجعلها في التحريم كأنه . وكان هذا طلاقاً بائناً لا يقبل الرجعة .

.. ولكن القرآن استنكر هذا البث بالعلاقات. وهذا الكذب في الدعوى..
الذي يصنف بكيان الصلة بين الزوجين . ويقول الله سبحانه :
« الذين يظاهرون منكم من نسائهم ، ما هن أمهاتهم ، إن أمهاتهم إلا
اللائى ولهنهم ، ولهنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعنهم لعنهم
والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما فعلوا فصرير رقية من قبل أن يتأمنوا .
فن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود
الله وللذين عذاب أليم » (١) .

وهكذا يجب أن يتضح الفرق بين نظرة الجاهلية إلى علاقة الزواج ونظرة
الإسلام . وبهذا المعنى يوحى قوله تعالى :

« ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله .. »

أما الذين يصرون على النظرة الجاهلية ، فهذا هو الكفر بميثه :

« وللذين عذاب أليم » .

وهذه الكفارة الواجبة في حالة الظهار إنما تستهدف زجر أولئك المستغنيين
بما يبنى العلاقة الزوجية من تقدير وتكريم ، بحيث لا تمنع الزوات ولا
تقطع بالهفوات .. ولا ثبت حملها كلمات ، صدرت عن حماقة وجهالة .

فلم يعتبر الإسلام النطق بكلمات الظهار تحريماً للزوجة . بل إما الطلاق الذي
يفسح السبيل أمام كل منهما لاستئناف حياته على رشد وبصيرة . وإما العودة إلى
العلاقة المشروعة بعد أداء الكفارة الرادعة .

حقاً .. إن الإسلام لا يقر الأوضاع الشكلية الجامدة في العلاقة الزوجية ، بل
يبحث لكل من الزوجين الاستقرار العاطفي واللباسي .

• • •

وهذه الأحكام ليست هي السبيل الوحيد الذى يعول عليه الإسلام ، ليصالح
الزواج علاج التريزة وتلبية أشواق النفس .

ولكن الإسلام على منهجه الطرد فى كل ما يخالجه من إصلاح وما يأخذ به
البشرية من تهذيب .. يستمد على الأساس الخلقى والنفسى ، الذى يكفل تحقيق
الأحكام وإقامة الحدود القصاة .

فهذه الصلاة لا بد أن ترتكز على أساس أعمق وأرسخ ، يرتفع فوق الحق
والواجب .. ويكفل الامتزاج النفسى الذى يتطلبه الإسلام ، حتى تسود المودة
والرحمة التى جعلها الله آية من آياته فى علاقة الزواج حين تقوم على القفطرة
ونجنب الزور .

« وس آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم
مودة ورحمة » (١) .

وحينذ يتم هذا الامتزاج روحاً وعاطفة وصورة ومعنى .. ولا يبقى لدى
واحد منهما فراغ يصرفه إلى غير صاحبه .

ومن هنا لا نرى الزواج كما يراه بعض من عابوه من زلوية الفقه ، مجرد
عقد ومهر ومعاوضة وانتفاع وفقرة .. حتى يحسبه الناظر عقداً كالبيع والشراء ..
لا مكان فيه لمعاطفة .. ولا نظر فيه إلى مودة أو رحمة .

وعذر التقي الذى يتحدث عن عقد الزواج أنه ليس مطالباً إلا ببيان الحق
والواجب .. وما يكون عليه العمل فى حال الشقاق والنزاع .. فهو لا يرسم صورة
مثالية ، وإنما يوضح أسكماً يمثل الحد الأدنى لما يلتزم به كل من الزوجين فى حال
الرضا وحال التنصب .

أما نحن .. فإن علينا أن نبلى الصورة للثلى التى أرادها الإسلام لهذه العلاقة القطرية .. والتى أرادها أن تكون غناء عن القوضى والانحرافك والنزوات .
ذلك لأن أعداء الإسلام .. بل أعداء كل حق وخير فى الوجود ..
يفترون على الله الكذب ، ويحاولون إظهار علاقة الزواج فى الإسلام وكأنها
علاقة همجية وحشية ، لا ترى للمرأة حقاً ولا تقيم لمشاعرها اعتباراً .. بينما تعلى
الرجل ما يشاء وتمينه على الاستغفاف بالمرأة والمدون عليها ..
وكذبوا .. وكتبوا الحق .. وهم يملون ..

وسرى عند عرضنا لتلك الشبهات فى ختام الباب الثالث من هذا الكتاب
أنها جزء من المبحوم الخاقد على الإسلام فى هذا العصر الذى بدأ الترييون ..
ثم تابهم للردون عن الإسلام عقيدة وشرية .. وإن ادعوه أسماء ومظاهر .

• • •

ونود إلى ما يفتنيه الإسلام بعلاقة الزواج من تكامل بين الحس والروح ،
وما يوط بها من إسماد وإصلاح ..

إنه يرغب فى كل ما يوقتها وزيدها قلباً وامتزاجاً .. حتى ليصل النبى
صلى الله عليه وسلم لى الرجل مع امرأته نوعاً من الحق .. إذ أن له غاية المحبودة
وهذه التى يرجوه الإسلام ، وهو تأكيد الارتباط النفسى بين الزوجين ..
وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم :

« كل ما يلهو به الرجل للسلم باطل ، إلا رميه بقوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته
أهله ، فإنهن من الحق (١) » .

وهذا أيضاً هو منزى حث الإسلام على مراعاة التقارب بين الزوجين فى

(١) أخرجه أبو داود والترمذى .

النسب .. والتلازم بينهما في ملامح الشخصية ، حتى يمكن أن يكون بينهما السكن والاطمئنان ..

ففي الحديث أن جابر بن عبد الله رضى الله عنه تزوج امرأة ثيبا .. قد ل له النبي صلى الله عليه وسلم : « هلا بكراً تلاحبها وتلاحبك (١) » .

لولا أن جابراً أبدى علة اختياره لهذه المرأة .. وهى وجود إخوة له صغار يحتاجون إلى أم حانية .. لا إلى فتاة لا خبرة لها ولا طاعة برعاية الصغار ..

ولهم أن ندرك أن الزواج في نظر الإسلام ، ليس علاقة جامدة تقوم على التقاليد للتوارث .. بل هى امتزاج نفس بين اثنين .. يرضى كل منهما فى صاحبه نزواته ويستجيب لحاجاته ولا يدع فى نفسه فراغاً لقلق والشقاء ..

وإذ لنجد هذا المعنى وأكثر منه فى تصوير القرآن لحقيقة الصلة بين الزوجين هذا التصوير الذى ، بالإجماع فى قوله سبحانه :

« من لباس لكم وأنتم لباس لهن (٢) » ..

وترك المجال هنا لصاحب كتاب « الإنسان بين اللادى الإسلام » ليحدثنا من دقائق هذا التصوير الجميل .. فيقول :

« فى هذه الكلمات القليلة تصوير بارع للاقة الجسد وعلاقة الروح فى آن . فاللباس ألصق شئ . يبدن الإنسان ، وهو السر الذى يشتر به ، وهو فى الوقت ذاته مقفل على قده لا ينقص ولا يزيد والرجل والمرأة ألصق شئ . بعضهما ببعض : يلتقيان فإذا هما جسد واحد وروح واحدة . وفى لحظة ينوب كل منهما فى الآخر فلا تعرف لهما حدود . وهما أبداً يهتفون إلى هذا الاتصال الوثيق الذى يشبه اتحاد اللباس بلباسه .

(١) أخرجه الترمذى .

(٢) سورة البقرة ١٨٧ .

نجمها ستر ، كل واحد للآخر . فهما من الناحية الجسدية ستر وصيانة ، وهما على الدوام ستر روى وقسى . فليس أحد أستر لأحد من الزوجين للآخرين ، يجرى من كل منهما على عرض الآخر وماله وحده وأسراره ، أن يتكشف منها شيء . فتنهب الأنفواء والعيون . وهما كذلك وقاية تنفى كلا منهما عن القاحشة وأعمال السوء ، كما فى الثوب لابس من أذى المجاعة والزمهرير .

وهما بعد ذلك كاللباس فى قصصه مضبوطاً على القدر . يليسه صاحبه فيسترىح إليه ، ويضطر ك نشيطاً فى محيطه ، ويكتسب به زينة وجالا تصبج صاحبها وتصبج الناظرين .

فليس أروع من تصور هذه الممانى كلها فى تشبيه واحد شامل عميق^(١) .

وليس بعد هذا الذى عرضناه من منبج الإسلام فى جل الزواج حلا طيباً ميسوراً ، لمشكلة التريزة ، شئت فى أن هذا المنهج لو أحسن الأخذ به لكان فيه سعادة الفرد وحماية المجتمع وطأئينة للحياة .. ولكن فى القضاء على نزعات القروض التى مازال تشقى بها المجتمعات فى أنحاء الشرق والغرب ..

فإن الذى يتألم مواقف المجتمعات للمادية المعاصرة يذعه ما يراه من مشكلات معقدة حول التريزة .. فما يزداد الناس انطلاقا .. إلا ازدادوا شقاء .. قضية الجنس فى هذه المجتمعات تشغل الجميع .. من تلميذات المدارس وتلاميذها .. إلى الكهول .. وفوضى الشخصيات اللامة ..

حتى الزواج فى هذه المجتمعات للمادية التى يشيع فيها ذناء الفتنة قوياً ملجأ .. يسبغ عن حل مشكلة التريزة ..

(١) . الإنسان بين المادية والإسلام ص ٢٥٤ .

وها هي غاوى القرب للذى تملأ الأنعام .. وأحسبها نوادى تبادل الزوجات
لقد شاعت في أوسبك خاصة .. بل تزايد يوماً بعد يوم (١) ..

ذلك لأن مجرد إقامة بناء الأسرة لا يكفي في علاج مشكلة التريزة ، ما لم
تكن قائمة على دعائم مثل وأخلاق فاضلة ، لا تؤمن بالقوضى ، ولا ترى حل لمشكلة
التريزة سوى الزواج :

« والذين هم قروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم
غير ملومين . فمن ابغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » .

ونحب أن نشير هنا إلى خطر التساهل في الفتوى والاجترار على دين الله ..
بصعيد سلوك مسالك مرعية .. تؤدى إلى تم جدار الحفاظ على دين الله وتوقير
حدوده ..

فليس هناك من نظر قهوى أو اجتماعى يؤدى إلى القول بإباحة نكاح النعمة
بحجة أن في إباحته تيسيراً على الشباب وإحساناً لهم من عدة الشور بالذنب
ومقارفة الخطيئة ..

لقد ظلم الفقهاء المعتد بهم من قبل .. ورويت في الأحاديث الصحيحة .. أن
نكاح النعمة حرام . وأن مرتكبه بعد التحريم يستحق الحد . وأنه أبيع فترة
ثم حرم . والذى أراه أن إباحته لم تكن بتشريع من الإسلام . أى أنه لم ينصحه
ولما كان معروفاً عند العرب في الجاهلية .. فتركه الإسلام على إباحته فترة ثم
حرمه .. على نحو تحريم الإسلام للربا والمخمر وغير ذلك .. فهو من مقاصد الجاهلية ..
وليس من شرائع الإسلام ..

(١) في كتاب الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر .
(مشكلات الأسرة والتكاثر) لـ دكتور عبد الباقى تقاسيل كثيرة من سلوك الغرب
الذى لىءاء التريزة ، استقاما من المعص والجلات الأوربية والأمريكية .

والذين يدعون إلى إباحة نكاح النسة اليوم ، سواء كانوا من العلماء المظفرين
للمسارعين إلى الإباحة .. في كل شيء .. أو كانوا من أتباع الحضارة الغربية ..
الذين يريدون اسماً إسلامياً تستر وراءه للقاسد .. هؤلاء جميعاً يطمحون أن إباحة
نكاح النسة على هذا النحو العجيب . الذى يبيع للرجل أن يتزوج امرأة لمدة ساعة ،
أو يوم ، أو ليلة . هذه الإباحة تؤدي إلى تسمية الخطيئة بنور اسمها . أو إعطاء
الحرام عنواناً من الحلال .

والأ .. فلن يصجز كل من تكسب الفاحشة أن يقول : إنه تزوج زواج النسة .
فلينق الله أولئك المظفرين . أو المظفرين . في دينهم وأمتهم . وليعلموا أن
مجالاة الأهواء وتعلق الترائز . نفاق حقير لا ينبغي أن يزل في هاوية عالم .
ولا مؤمن .

والآية التى يجادل حولها المجادلون بالباطل في إباحة نكاح النسة صريحة
لا تحتاج إلى جهد في إدراك مغزاها .

وهى قوله سبحانه : « وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبضوا بأموالكم بحصنين
تحرر مساكين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما
تراضيتن به من بعد الفريضة إن الله كان علياً حكيماً (١) » .

وشبهتهم قوم حول كلمة « فما استمتعتم به منهن » ويقطعون النظر عما قبل
الآية وما بعدها . قد سبقت تلك الآية الحديث عن المحرمات من النساء على وجه
التأيد ، أو على وجه الجمع ، ثم جاءت هذه الآية لتبين في مطلعها أن من المحرمات
أيضاً المحصنات من النساء ، أى ذوات الأرواح ، وبعد التحريم كان لا بد من بيان
للإباحة . فقال سبحانه « وأحل لكم ما وراء ذلكم » . والإشارة إلى المحرمات من

النساء . ثم بين متعلق الحل . وهو النكاح الشرعى ، الذى عبر عنه بقوله سبحانه : « أن تنصوا بأموالكم محصنين غير مسلفين » والإشارة هنا إلى الصداق الذى هو ركن من أركان الزواج وهو يميز الزواج الشرعى عن غيره .. فلا عدوان على المرأة ولا إكراه .. لأن الاتفاق بين الرجل وولى زوجته على الصداق يعكس الرضا والقبول فيما وراء ذلك .. ثم أكدت الآية أن المراد هنا النكاح الشرعى . القائم على الإيجاب والقبول .. الذى يستهدف السكن .. والذى تحقق فيه المودة والرحمة ، وذلك قوله سبحانه : « محصنين غير مسلفين » .. فالصالح هنا مفروض . لأنه لون من عدوان الجاهلية .. بل المراد الإحصان . بهذا التعبير الذى يوحى بمقاومة النزوات . واستكمال عدة الفضيلة . بحيث يكون الرجل للزوجة .. وكذلك المرأة . فى حصن من الانحراف والتسوق ..

وبعد أن بينت الآيات بهذه الألفاظ وجيزة منهج الحلال فى الزواج . أكدت . وجوب أداء الصداق إلى المرأة — إذ كان كثير من العرب يسمون المهر ثم لا يؤدونه إلى المرأة إلا بعد الدخول . وقد يقع تهاون فى هذا الأداء . بعد أن صارت المرأة فى بيت الزوجية — ولما كان الصداق يمثل القاصل بين الحلال والحرام . كما يرمز إلى تحدير المرأة وتكريمها . إلى جانب أنه عون لها على استكمال هدفها واتخاذ زينتها فى بيت الزوجية . لذلك نص القرآن على وجوب أداء الصداق للزوجة . وخاصة بعد الدخول . وكأنه قبل الزوج : ها قد وفيت لك زوجك بما وجب عليها . وصارت ودية فى يدك . فلا أقل من أن تؤتيها صداقها . كما فرضه على نفسك . فإن تراضيتا على أن تنص الزوجة عن بعض حقها لدى الزوج . فلا بأس ولا حرج .

فهذه الآية لا تخرج فى معناها عن قوله سبحانه فى السورة نفسها ، « وآتوا »

«فكاه صدقاتهن نحلة فإن علبن لكم غن شىء منه هماً فكلوه هيناً حروبة» (١) .

ذلك هو نظم الآية . أما الآية التالية فلها تيسير فى الانجاء ذاته . اتجاه الزواج . ثبات للسفر . لا تمام للتمه الطارئة . وذلك قوله سبحانه :

« ومن لم يستطع معكم موطئاً أن يتكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فياتنكم للؤمنات ، والله أعلم بواطنكم بضكم من بعض . فانكحوهن . فإن أهلن وآتوهن أجورهن بالمعروف بمعصنات غير مسلفات ولا معصنات أخدان . فإذا أحسن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم . وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم » (٢) .

فإذا ترى فيها . ١- إن هذا التأكيد على اختيار المؤمنات من الجوارى ..
 ٢- إن لم يكن السلم قادراً على الزواج من الحرار المحصنات للمؤمنات . وكذلك الجوارى . تنصر الإيمان بالفضيلة وتقدير حقيقة الزواج . فى قوله « معصنات » غير مسلفات ولا معصنات أخدان » وكذلك اشتراط إذن الأهل فى هذا النكاح .
 ٣- إن هذا كله يوضح لنا الألفى العالى الذى تلقينا إليه الآيات . وليس منها فى شىء .
 ٤- حتى تعد للتمه . الذى لا يستهدف سكناً ولا يوجب حقوقاً . ولا يؤكل كسوة ولا راحة .
 ٥- والذى لا اشتراط فيه لإيمان أو إحسان . وإنما هو لقاء عار . لا ينسب من جهوى الشهوات .

إن القرآن يبنى المجتمع العلم على أسس تورث القمانينة والأمان . ولا يفتح

(١) سورة النساء ٤

(٢) سورة النساء ٧

الفرصة لأتباع الشهوات . ليدروا في المجتمع كل بناء الخير والتفضيلة . في سبيل نزواتهم القاجرة وفرازم المريضة ..

وإننا لنجد بد هاتين الآيتين التين يتتا ما يحل للمسلم في زواجه وما يجب عليه فيه قوله سبحانه :

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم . ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

فهذا هو الجو الإسلامي الصحيح . بطهارته ونقاته ، - وارتقاه بالنفس الإنسانية . لا يهذي مع التراز للتورية ، ولا يسار . الأهواء الجامحة .

فكيف يكون حال المجتمع الإسلامي العاصر إذا شاع فيه القول بإباحة نكاح النسوة . وأنه كما يقول بعض الشيوخ : يفتد شبابنا الذي يعيش في الترب ويحل مشكلاته ١١

إن شبابنا الذي يعيش في الترب يعلم أكثر من هؤلاء المتن بالمعنى أنه المجتمع التربوي لا يحل مشكلته تجاه التريزة ش . ولا إباحة الفاحشة نفسها دون قيد ، إذ أنها في المجتمعات المادية مباحة للرافعين . ورغم هذا فلا مدوب ولا اكتفاء ولا استقرار . لأن تلك طبيعة التراز التي تغفل من مقالها . والتي لا يرجع بها الإنسان إلى قيد ولا ضابط . من خلق أو دين أو قانون .

فليوفر أولئك المتن على أنفسهم مشقة البيان . وشققة اللسان . وليلملوا أن الأمة تنتظر منهم غير ذلك . وعن قد جربت طريق الانطلاق . فما زادها إلا وبلا .

ليس ، إذن ، إلا الزواج .. في صورته المثلى .. بضوابطه وقيوده ..
ونظمه وأحكامه التي شرعها الإسلام .. حلاً لمشكلة الفرقة الجائحة ..
مشروطاً بأن يضمنه المجتمع موضعه الحق .. وأن يكفل لنظام الأسرة
التهابة والاحترام .. وبحسب من الآفات وينتق المجتمع من الموبقات
الهلكات ..

هل الأسرة ضرورية ؟

يتصل بموضوع تنظيم التريزة في إطار الزواج ، إثبات حاجة الإنسان القسرية للأسرة ، ضرورة قسرية له ، تلو فوق صلة الجنس وإجابة التريزة ..

ذلك لأن المخاضة للادية توشك أن تجنى على نظام الأسرة جناية كبرى ، قطع روابطها وتوهم قواعدها ، وتحرم الإنسان من عواطفها الأصيلة التي تصلح الكيان البشرى وتعمق التوازن في نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى المجتمع ..

ولعلنا ينبغي في سلوك المجتمعات للادية إزاء الأسرة . وفي النظريات التي يشيها بعض الدارسين لم الاجتماع للادى من أن الأسرة إنما هي وضع اجتماعي لا طبيعي ، وأنها ككل نظام اجتماعي تخضع للمؤثرات الاجتماعية ، فتتغير أو تضعف ، ومادام هذا النظام من وضع المجتمع الإنساني فهو ومن بمشيئته .. فيبقى أوزيره .. إن أراد ..

وذلك كله في سبيل تبرير مسالك الخطئية ، التي تنتج أطفالا لا ينتمون إلى أسرة ، فيلقبهم المجتمع للادى بقموة قلبه إلى الماضي والملاحي ، حيث ينشأون في صورة أحط من نشأة الحيوان .

ويجادل للاديون .. فيزعمون أن لا ضرورة للأسرة ، وأن نشأة الطفل في محض صناعى تساوى نشأته بين أبويه .. بل يزيدون فيتحدثون عن التلقيح الصناعى . وعن إمكان صنع الأطفال .. بعيداً عن الأسرة وأحبائها فقال ا بل إن النظام للادى يحيد نشأة الأطفال جيئاً شرعيين وغير شرعيين في المحض الجماعية .. حتى لا يكون لهم ولاء نحو آبائهم وأمهاتهم وأسرم .. فلا يذكرون إلا الدولة

والحزب .. « ومن أجل ذلك يحذر « أمجلز » الرجل الذي للماركسية الزواج الجماعي ، ويدعو إلى قويض القيود التي فرضتها الأديان في علاقة رجل بالمرأة (١) » . هذا إلى ما فرضته النظم الاقتصادية في الحضارة للادية .. من غياب الأم عن أطفالها .. واعتمادها على المحاضن أو الخدم في رعاية الأطفال والقيام عليهم ..

ولكن القطرة الإنسانية لا قبل الزور .. بل لابد أن تقضح الأنظمة المخدعة التي تحاول أن تدير خلق الله وأن تشق البشرية من حيث توهمها السعادة ..

فها هي الأوضاع الأليمة للأسرة في المجتمعات للادية للتاونة لدين الله الحليف ، تشهد بما أصاب الناشئة من اعراف في السلوك ، نتيجة لما طرأ على الأسرة من تغيير ، يحول بينها وبين القيام بواجباتها العتيقة ..

فخيار الجريمة في الدول للتخضرة التي لا ترمي كيان الأسرة يزداد بصورة خطيرة رغم الازدهار للادى والتقدم الصناعي ..

ونسبة الأطفال غير الشرعيين تزداد يوماً بعد يوم وتمثل مشكلة اجتماعية مستعصية ، إلى جانب النماذج البشرية الشائنة التي تمثل بالخطأ على المجتمع والعداء للإنسانية .

فإذا على البشرية لو سارت في الطريق للأمن .. وتكسبت هذه الخطر التي تكاد تهوى بها إلى الحضيض ..

ماذا عليها لو اتبعت للنهج الإلهي الحكيم ، ونعتت بتلك الحياة الآمنة .. حياة الأسرة التي جربتها أجيال عديرة .. عاشت آمنة مطمئنة ..

لا تحف فوضى الترفزة عند حد إذا ترك لما الجول واتسع للذى .. وهي

(١) الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر : مشكلات الأسرة والتشكيل ص ١٢٣
دكتور محمد البهي .

لا نرعى قطرة الحياة ولا لضرورات الاجتماع الإنساني حرمة ..

فهو هوى مستبد يستخف بكل الماني والقيم التي جاهد الإنسان في سبيل تحقيقها في حياته أمداً طويلاً ..

وهنا نحن أمام قضية أخرى تفرع عن المقارنة بين آثار تنظيم التريزة وتثبيدها. بقيود الدين الصحيح التي تخلق مع العقل والحكمة ، وبين إطلاق العنان للرائز الجائعة تلك أي سبيل تراه ..

تلك هي قضية ضرورة الأسرة للإنسان ، بما فيها من مستويات وأشواق وروحية ترتفع على صلة الحس وعلاقة للنفعة .

فن العجيب أن دماء الأقليات من قيود الزواج ، وأصوار شيوعية العلاقات التريزية لا يقتنعون بالتمدد إلى هذه المداوية للرغبة للإنسان ، وإنما يصرّون أن يحلوا الإنسانية جميعاً على اتباع هذا السبيل ، الذي يزعمون أنه يمثل التطور الإنساني ويناسب التقدم والتحضّر .

ولما رأى هؤلاء أن فوضى التريزة تقى عدم بناء الأسرة وإلخلاق روابطها الأصيلة التي عرفها الإنسان في كل الأجيال .. قالوا : وما المانع ؟ فلتهدم الأسرة وتصلح روابطها . إذ هي نظام اجتماعي ، وليست خريزة فطرية في نفس الإنسان ..

وحينئذ يستبدلون نظام الأسرة بالحاضن ولللاجئ لتربية الأطفال ، ثم يطلقون كل رجل وكل امرأة أتباعاً للهوى الجامع دون قيد ولا حظر ..

والحق أن نظام الأسرة يعتمد على نزع فطرية في نفس الإنسان ، فوق العلم والشرب وصلة التريزة ، وفوق النفقة والحاجة .. فلا يمكن التخلي عن

هذه النزعة التطورية مهما أصاب الإنسان من منة وما كفل له من رعاية جيداً عن ظلال الأسرة .

وثبت هنا كلمة للأستاذ العقاد في بيان أن الأسرة زعة فطرة وليست نظام اجتماع يقول فيها :

« إن أسرتين اثنتين تختلف فيهما الظلم العائلية ما يختلف بين الشعوب والأجيال . وهما مائلان في كل أسرة وفي كل شعب وفي كل جيل ، وهما حضنة الطفل ، والألفة الحميمية بين فئة من الأقرباء .

وكلا هذين الأمرين قائم على التفرزة التطورية دون سواهما ، على نحو مشابه في جميع الأجناس وجميع المصور .

فن الخصائص التطورية في الإنسان أنه طويل الحضنة لأطفاله ، وهذه ضرورة لازمة لا دخل فيها للمجتمعات ، ولا لقوانين الاجتماع .

ومن هذه الخصائص أنه يحتاج إلى الألفة الحميمية بينه وبين فرد آخر أو أكثر من الأفراد ، إما كانت حالة الاجتماع ، من القبيح البدائية إلى جامعة اللغات والخصائص والأديان . وكل أسرة وجدت بين الناس فهي محاولة مستمرة لتحقيق هذين التفرزين التفرزين ، ولولاها لما كان هذا الإصرار على خلق الأسرة ومحاولة تحسينها وتنظيمها في كل مكان .

وما هو الأثر الذي يترتب على إنشاء الأسرة بأنواعها الممزوجة بين الأجيال البشرية .

إن أول الآثار التي تشاهد في هذه الحالة ، أن الناس يخفون الأسرة بما يشبهها وينوب عنها ، فلا يكفيم مجرد الاجتماع في مكان واحد ، ولا ينهم أنهم يشتركون في المأكل والشرب ، مثان وألواناً ، كل يحدث في الجيرش والأديرة

والدائرس الداخلية، ولكنهم يخفقون حنان الأسرة ورعاية الأبوة والأمومة.
خلقاً يطمون أنه مصطنع ولا يستفنون عنه مع علمهم أنه اصطناع . . تظهر أسماء
التحبيب والتصغير في الجنود، ويتسلفون بأسماء « توتى ونجوى » كأنهم أطفال
صغاراً وتظهر الحيوانات المألجة التي يطف عليها المسكر كما يطف على أبناء البيت
وتظهر أمومة الكهنة وأحضان اللدنة وأخوة البير، وأشياء هذه القرايات ،
وهى شىء غير أهلة الاجتماع بين الناس، يمزج من هذه القرايات « المثالية » التي
يخلقها المجتمعون معها حتى لو وجدت لكل فرد منهم علاقة بالله ثلية بذويه وإذا
تقد الإنسان هذا الشعور الجيم ، لم يكن قصارى الأمر عنده أنه يمانى « النقص
الاجتماعى » فى أخلاقه القومية أو أخلاقه الإنسانية، بل كان من جراء ذلك أنه
يمانى قصاً « بيولوجياً » يؤثر فى التريزة والقل، وبدل على أن المسألة فى أصولها
مسألة الحياة، ومسألة الأوضاع والأظلة والقوانين .

ومن المعقات المشتركة بين جميع الأسر فى جميع الشعوب والأجيال ، أنها
تقيد للعلاقات الجنسية ملحوظ فى مصير التسل على نحو من الأنحاء .

فكل أسرة هى ضابط للسل، وليست وحدة من وحدات البنية الاجتماعية
الكبيرة وكفى .

ولا عجب فى اختلاف الضوابط والقيود، بل النجب كل النجب أن تفتق
كل الإخاق من المعاملة الأولى إلى المعاملة الأخيرة . فإن ذلك هو المصير
الذى لا يخطر على البال فضلاً عن انتظاره وتطبيق الاعتراف بالتريزة فى تكوين
الأسرة عليه .

ولا قول إن هذا الضابط مقبوض ثمانية من التنايات أو غير مقصود، ولكننا
نحرر الشاهد حين نقول إن منع الزواج من المحارم قد أفضى بالنوع الإنسانى إلى

ثروة شعورية . لم يكن ليطمح فيها بشر هذه الوسيلة ، فكأنما يتجه النوع الإنساني من قديم الزمن إلى « تخليص » للشعور وتنويعه في العلاقة بين الأقربين والبيداء ، فلا يشعر الرجل بالمرأة الأخت أو الأم كما يشعر بالمرأة الزوج أو للرشعة للزوج ، ولا تزل هناك ضروب من العطف بين الأقربين ، لا تقتصر على ضرب واحد ، ولا تقتضيه فيها الأواصر والصلات .

ومعنى ذلك أن الإنسان يحرص على أنواع كثيرة من القرابة العائلية ، ولا يريد أن يخلطها بملامح المجتمع لدى لا قرابة فيه .

إن أواصر القرابة تختلف بين الأمم والأجيال فتشمل في أمة ما تستثني في أمة أخرى ، وتتكفر في هذا الجيل ما تعترف به في ذلك .

ولكن هل يقع هذا الاختلاف لو لم يكن في طبيعة الإنسان استعداد للشعور بالقرابة أيما كان عنوان للتقريب ؟

وهل أنكر الإنسان قط قرابة من القرابات إلا ليعترف بقرابة تعد لها أو تنوب عنها ؟

وهل أنكر ما أنكره طويلا دون أن يعود إليه ؟

فالتفرقة وراء الظواهر الاجتماعية في جميع هذه الأحوال . والنظرة الإنسانية أحوج فطرة بين الأحياء إلى التشاء في أسرة والاتصال بقرابة عائلية .

ونلوفى القول كل من يرجع بكل ظاهرة من ظواهر الأسرة إلى الاجتماع لأن الناس يعيشون جماعات جماعات .

فإن انتساب الفرد إلى أمة لا ينيه عن التشاء العائلية بحال من الأحوال .

ولو جاء الوقت الذي تهدم فيه الأسرة وتلحق فيه الأمومة والأبوة لتصل في

بمحلها « تربية المجتمع » لكان ذلك تبديلا في الخلق ، ولم يكن تبديلا في « الشأنة الاجتماعية » وكفى . لأن القطرة قد حوت الأحياء أن يحتم الفرد نوعه وهو يشر بأنه يحتم نفسه ، لفرط لا يحتاجه من اللفة والسرور بإيجاب الذرية .

فذا لو قيل غذا إن اللفة الجنسية ليست أصلا في دوام النوع ، وإن الحمل قد يتم بنير هذه اللفة التي يشر بها الآباء والأمهات .

إن من يقول بذلك لن يكون في ملة أغرب ممن يزعم أن المجتمع ينشأ من الأطفال بنير حضانة الأمهات والآباء ، وأن القطرة تستقيم على هذه التفتة لأنها وضع أوضاع الاجتماع » (١) .

وذلك حق . . . قد نشأت الأسرة قبل نشأة المجتمع بصورته المعروفة ، ومحاولات الجمع نشأت على أساس عمل التفرزة ومطالبها .

غاية الأمر أن للمجتمع قد استطاع — بعد قيامه على أساس الأسرة — أن يضع لها بعض القيود التي تنظم علاقاتها أو تحددها وتقيدها ، وهذا العمل : — « عمل من البهامة بمكان » ، ولن بلجشنا توكله إلى لفصل بينه وبين التفرز القطرية ، فغهي لن تفصل عن وضع من الأوضاع المتواترة بين الناس » (٢) .

ذلك من الوجهة النظرية .

فإذا نظرنا إلى الواقع الملموس ألقينا الأسرة ضرورة للفرد لا يوضعه عنها شيء .
وتبين لنا خطأ القول بأنها نظام اجتماعي لا يحتاج إليه الفرد ...

ولنتظر نظرة علمية هادئة إلى فرد في أسرة ، وفرد بلا أسرة . نرى أيهما أكثر هدوءاً وأطمئناناً في آخر الشوط .

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد مجلة الرسالة العدد ٦١٧ أبريل سنة ١٩٤٥ بصرف .

(٢) المصدر السابق .

إن التقى والفتاة الذين أطلقا من قيود الأخلاق ووجدوا كفايتها الاقتصادية ليبدوان في سعادة غامرة وممتدة لا حد لها ، وهما ينطلقان كالحيتان المائجة ، يشبهان زوات الجسد حينما شاءا وشاءت لهما الأهواء . . ولكن هذه السعادة الظاهرة لا تلبث أن تنكشف عن قلق نفسى شديد .

فإن التكالب الشديد على اللذة ينهى إلى سار دائم لا يروى ولا يشر صاحبه بالراحة . لأن الذئب للسور لا يلتذ بكل نهشة ينهشها من هنا أو هناك ، وهو هائم كالجنون ، ولو كانت من أشهى طعام يحبه ، كما يلتذ الخنوق السوى بالقدر للقول ، الذى يحصل عليه وهو ناعى مستقر الأصحاب .

وهذا التكالب للسور سمة دائمة من سمات الميام التى يقع فيه الفرد حين لا يصيغ إلى دافع الأسرة ، فينتقل مع الشهوات بلا ضابط ولا حدود .
والأسرة هى الرقبة الطبيعية التى تحمى الفرد من هذا السار .

فهى أولا تنكسر من حدة الشهوة المجنونة ، لأن الإنسان يزهد بفطرته من كل شئ يملكه !

فإذا اطمان الزوج والزوجة بعد فترة التمثلش الأولى إلى أن كل منهما يملك الآخر فى كل لحظة يريد بها ، لم يد هناك دافع إلى التثوى العنيف والسار للهو .

ولكن هذا ليس معناه أن تموت الرغبة وتقبل نهائياً بالزواج ، فلعكة هليا جلت هذه التريزة من الحدة والنف بحيث لا تعتمد ما دامت للقدرة الصحية الفرد صالحة لأداء الترضى المطلوب ، وذلك لكى يستمر التسل ، وتستمر الحياة على ظهر الأرض ، لا يوقتها شبح الارتواء ولا زهادة الزاهدين . فن ناحية التريزة ذاتها نجد الأسرة هى النظم الطبيعى لانطلاق الشهوة ، بالصورة التى تمنع دمار

الجسد وعذاب الهممة الدائمة ، وتمتع الفرد السوى في الوقت ذاته نمياً معقولا من نفسه ينتهى به إلى الرضا والارتواء .

ولكن الأسرة لا ترضى جانب الجسد وحده .

فهذا التقي المائم والفتاة الهائمة لا يتصان بالعادة النفسية كذلك .

إن الرجل في حاجة إلى المرأة والبرأة في حاجة إلى الرجل ، شيء آخر غير ضرورة الجسد ودفة الفرزة .

إن كلاهما ليجد عند الآخر وفي رحابة مشاعر نفسية . الألفة والخلفان والود والتعاطف .

مشاعر لا يجدها في أى مكان آخر . لا يجدها لرجل - كاملة - عند الرجل ، ولا المرأة عند المرأة إلا في حالات الشذوذ .

وهذه المشاعر كلها لا تنظم مع الطفرات المائة والتيارات المتحركة . لأنها بطبيعتها في حاجة إلى الزمن والاستقرار . كيف ينشأ الود بين عابري سبيل قد لا يلتقيان بعد ذلك أبداً ؟ وكيف تنشأ الألفة بين شخصين لا يلتقيان إلا كما تلتقي القطر المتقابلة على السكة الحديد ، دقائق ، ثم يمضى كل منهما إلى سبيل ؟

كلا ! إن هذه المشاعر الطيبة ، النابعة من أعماق النفس ، لا نجد منطلقها إلا في جو هادئ مستقر ، وتظل - إذا لم تتحقق - تسبب جوعاً نفسية دائمة ، وحسناً لا حقاً لا يستقر ، ولو وجد الإنسان كل متعة الجسد وكل حرية الاقتصاد .

إن كل فرد من أحد الجنسين في حاجة إلى فرد من الجنس الآخر يلقى إليه همه كلها ، مشاعرها وأفكارها . ويكشف له عن كل أسرارها الدفينة . ويتجاوب معه ويتعاطف ويحمد منه حائزاً وعورتاً لمواجهة الحياة وتبعاتها المختلفة . وإن الدنيا كلها لتضج قلوبين مصحابين متآلفين ، ولا تضج قلب واحد محروم من الحب .

والعطف، مقطوع عن الأمة الندية ولو كان أكبر قلب لأعظم إنسان . بل هو
لن يكون قلباً كبيراً وهو محروم من هذا النذاء الروسى الشقيف .

تلك وقائع قد يفتن الشعر في تصويرها في عالم للثل والأحلام . ولكنها ،
بغير شعر ، ولا فن ، وقائع «علية» تشهد بصحتها الحياة كلها منذ فجرها إلى اليوم .
فلا استقرار العاطفى إذن حاجة نفسية للرجل والمرأة ، ولا ينشئ عنها كل
معة الجسد وكل حرية الاقتصاد ، وهو لا يحقق في هذا التيار الجارف أقصى
يسر فيه الترب المجنون . لأنه لا يحقق إلا فى أسرة وبيت . وهم يقضون
حياتهم فى الشارع . مشردى النفوس ، حائرى القلوب ، حتى للتزوجون منهم
لا يصلون إلى الاستقرار للنشود .

على أن الأسرة السقرة ليست حاجة نفسية للرجل والمرأة فحسب ،
ففى كذلك ضرورة لازمة لإقامة الكيان النفسى للأطفال على أساس قوم .
ونبدأ بقرار حقيقة تاجئة وهى أن إنجاب الأطفال شهوة لم ينتج منها أحد فى
التقديم أو الحديث .

ومادام الإنسان يجب إنجاب الأطفال فليبه إذن أن يهيئ لهم البيئة الصالحة
لقريبة والماء . ولا أقل من ذلك . فالحيوان ذاته لا يترك أطفاله لأنفسهم حتى
يطعن إلى قدرتهم للكاملة على الاستقلال .

وقد تحدثت «آنا فرويد» فى كتابها «أطفال بلا أسر» من لخلل النفسى
الذى يلزم تربية الأطفال فى اللاجىء والحاضن ، وما ينتج عنه من اضطرابات
عاطفية وانحرافات شاذة ، لا يملك العلم النفسانى أن يقومها إلا بمجهود جيد .
هذا إذا استطاع (١) .

• • •

(١) الإنسان بين المادية والإسلام .

والقرآن يشير إلى هذه المعاني حين يصور للشاعر التي تشوُّها الأسرة وتشيع فيها، من الرود والرحمة والطف والاستقرار حين يقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون » وكل ما عرفه الناس من معاني الأسرة وجدواها لقد إن هو إلا بض النكر التي دعا الله الناس إليه في هذه الآية ، وكما تقدم بالناس الزمن ورمخ فيهم العلم والسكر عرفوا من هذه الآية نورا باهرا وشاعرا هاديا .

كما يشير إلى نعمة القرية التي لا تصحق إلا في الأسرة وجوها الظليل حين يقول :

واللهُ جَمَلٌ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَنُفَرًا (١)

فالزواج هو الوضع الطبيعي للإنسان . أما السفاح والبناء فليس معه نسل ولا ذرية . والأسرة هي للسكن الآمن الذي يبنى الحياة ويصل حلقات الأجيال . ويبقى المجتمع من شر الأطفال غير الشرعيين ، أويقى العقول من الحرمان والضياع وهي مشكلة تزداد تقدماً في المجتمعات المتحضرة اليوم حتى يملن في ولاية أمريكية واحدة أنها بها أكثر من خمسة عشر ألفاً من الأطفال اللقطة يحتاجون إلى القوت والكفالة .

وهذه جناية فظيمة تاشهها النزول وتسيبها الخطايا على أجيال المستقبل حيث لا تخاف لهم فرص الحياة الآمنة الواعدة في ظل من الرعاية والحب .

وتلقى آيات كثيرة في القرآن ظلالات ندية ، حين تتحدث عن غريزة

الأبوة وغريزة الأمومة التي ترضى في الإنسان زوجه لخطود ورغبته في بناء
الذكر ودوام الأثر ..

« ذكرُ رُحمة ربِّك عبده زكريّا ، إذ نادى ربُّهُ نداء خفياً . قال رب
أتى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بناتك ربُّ شقياً ،
وإني خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً ، فهب لى من لدنك وليّاً ،
يرثنى ويرث من آل يعقوب واجهه ربُّ رضىا ، بل زكريّا إنا نبشرك بغلام اسمه
يحيى ، لم نجعل له من قبل سمياً (١) » .

فهذا الاهتمام بأسر التنسل وهذه الشغافية في التعبير عن الرغبة فيه .. كل
ذلك باقى في النفس مشاعر جميلة ترغبها في الطمأنينة والاستقرار .

* * *

هل أن أصواتاً قد ترتفع وتشير إلى ما يسود الأسرة في بعض المجتمعات
من تفكك وشقاء ..

ولكن السئول عن ذلك ليس هو نظام الأسرة ولا روابطها ، ولكن السئول
هـه دعوات القوضى والإباحية ، التي تطلق يصر كل من الزوجين بنير صاحبه ،
وتخرج الزوجة من الأسرة لتمارس غير مهنتها وتقوم بنير واجبها ، فحرم البيت
من عطره وندائوته وظله ، وتحيله إلى فندق للبيت لا حنان فيه ولا سعادة . ا

والإسلام حين رغب في الزواج ودعا إلى إنشاء الأسرة ، لم يهمل التشريعات
والنظم التي تكفل للأسرة إرضاء فرحت الإنسان جميعاً والاستجابة للمطالب .

فليست المسألة مجرد اسم أسرة وكفى . بل للدائر على وفاء هذه الأسرة :
بمطالب الرجل والمرأة ، وقيامها بوظائفها التي تكفل لهما الطمأنينة والأمان .

والنظرة الإسلامية للأسرة ليست أجزاء وقاريق فأخذ منها ، ما نشاء ، وتذبح
ما نشاء ، بل هي متكاملة ولا بد أن تؤخذ أيضاً على تكاملها ، وسينتد نفق
بالمطالب وتكفل لفرد والمجتمع السعادة والاستقرار (١) .

(١) مراجع كتاب الأسرة في الإسلام - الطبعة الثانية الموفى ~

ماذا يفعل الشباب ؟

لم يعد هناك مجال لإنسان يحترم عقله وإنسانيته أن يزعم أن مبادئ الإبادة والقوضى في إجابة التريزة جدير بالاتباع .

ولم يعد - بعد ما عرضناه - خفاء في أن طريق القوضى دمار وشقاء للفرد والمجتمع ، وأن الحل الطبيعي الصحيح هو الزواج بدعائمه القوية وأوضاعه السليمة . .

ومن الجهالة وللزور ما يزعمه بعض الشبان من أن الزواج نظام وجي لم يعد صالحاً لحل مشكلات الإنسان التريزية والمادية .

فذلك دعوى سقيمة لا يمكن للشبان بها دليلاً . . لا من عقولهم ولا من أوضاع حياتهم التي تنمو بالشقاء . .

وسيقى نظام الأسرة القويم هو الحل الأمثل الذي يؤتم رعايته القفظة ، والذي يحقق مع كرامة الإنسان ، ويحقق له الرضا والسعادة والاستقرار . .

ولا ينهى الأمر بنا عند إثبات هذه الحقيقة ، بل إن علينا أن ننظر في مشكلة الشباب المسلم الذي يقتنع بهذه الحقيقة . . ولكنه لا يستطيع أن يبلغ هدف بهذا البواء . . إذ هناك للآيين من الشباب في بلاد الإسلام يظنون في للتوسط - إلى سن الخامسة والعشرين يطلبون العلم ، ولا يجسر لهم الزواج ، تبعاً للأوضاع الاجتماعية السائدة . .

والوقوف الحاضر من هذه المشكلة في بلاد الإسلام : هو موقف التقليد للأوضاع المجتمع التريبي . . فقد كان شبابنا المسلم من قبل وعلى امتداد مئات السنين

لا يواجه تلك المشكلة ، إذ كان طلب العلم لا يحول بين التقى والزواج ..
وكانت أوضاع المجتمع الإسلامى مستقيمة على أسر الإسلام ، فكان الزواج أمراً
ميسوراً بمعنى له المجتمع ومحيطه بالعرف والتقدير ..

أما اليوم .. فإن أوضاعنا الاجتماعية قد تأثرت كثيراً بالحضارة الغربية ..
بفضل التقليد والتأثير المقصود .. ونحن رأينا شباب الترب يظل دون زواج حتى
ينتهى من الدراسة .. فلما ذلك غير ناظرين على تأثير ذلك على الشباب وعلى
المجتمع كله .. وفهر ناظرين إلى الفروق الجوهرية بين الشباب المسلم اللزوم بقيده
وأخلاقه والشباب التبرى المطلق فى حياته دون حدود ..

ومن هنا فإن دعة الترب فى بلادنا يحاولون أن يهونوا من تلك المشكلة ،
وأن يمجروها من إطارها الأخلاقى ليحولوها مسألة من مسائل الاقتصاد أو وضعا
مادياً من أوضاع المجتمع .

وتأتى حلولهم لتلك المشكلة نابعة من فكر مادى مخدع ، لا يستقيم له مبدأ
ولا يرتبط بحقيقة مشهود لما بالثبات ..

والحل عند هؤلاء ، كما تبدى من أقلامهم واستنهم فى كلمتين :

تسليم الاختلاط وإلحاح البناء ..

ولا بد لنا من مائة مناقشة هذه الآراء ، على ما فيها من زيف واضح ، حتى
لا يتضخ بها من تفتنهم الكليات للزيفة والشعارات البراقة ، ونعنها السم
للزفاف ..

الاختلاط :

يرى بعض من يؤمنون بيطارب الغرب المادى ويتقون بنتائجها ، أن

الاختلاط بين القتيان والفتيات في مراحل التلميم ، وفي أوجه النشاط المختلفة في الحياة ، من شأنه أن يهذب النزرة ويجتف من حشها ، فيخفف مذاؤها ويهدأ إلحاحها على الشباب .

وهذا الرأي - بداهة - يخالف للأوضاع الاجتماعية الإسلامية التي أعلنها القرآن وجاءت بها السنة ، رغم ما يحاوله بعض الزورين من اصطناع التناوى وتكلف الاجتهادات في توسيع الاختلاط بين الجنسين ، فذلك منهم تلاعب بالنصوص واحتيال على السكبات لا يوافقهم عليه أحد ممن يعتد بقولهم من علماء هذه الأمة قديماً أو حديثاً ..

وليس هذا موضوعنا الآن ، فعن نبأ من القاعدة الملم بها وهي أن الإسلام لا يبيع هذا الاختلاط على هذا النجس الذي تطبقه المجتمعات القريية ، ويريد لنا من يتبعون الترب شيراً بشير ، وذراعاً مذراعاً !

ونقول : إن هذا الاختلاط الذي يمحذ للكثيرون أنفسهم في الدعوة إليه وجهه قاعدة عامة في المجتمع الاسلامى المعاصر ، قد فقد صلاحيته في الترب ، ولم يعد له جدوى في هذا التهذيب للزعم الذي يحلم به الحامون . . بل لقد أصبح هذا الاختلاط نبماً للأدواء الخلقية التي يأتى منها الترب ، كما يأتى منها الشرقي المقلد السائر وراء الركب !

ولم يعد هناك في الترب من يزعم هذا الزم الخادع . . بل أصبح الأمر مكشوفاً بلا غطاء . . وأصبح الاختلاط للمهذب لإحياة ظاهرة بلا حياء . . يقول صاحب كتاب « الإنسان بين المادية والإسلام » (١) .

(١) يصرف ، وقد كان له فضل السبق إذ طالع هذه الشككة من وجهة النظر الإسلامية وكان فيها رائداً بصيراً .

« لقد كان هذا الاختلاط البريء أسطورة ضخمة طلع بها الترب في بدء
انحلاله ليعالج بها الكبت الجنسي . وراح علماء النفس والاجتماع يهودون في
قائمتها المطلقة وخيرها العقيم . . »

ثم عاد الترب فكفروها ، ولم يعد اليوم يمرى ذكرها على لسانه بعد أن
تكشفت عن تبيجها الطيعة المحقومة .

فأما علماء النفس وأطباء الأعصاب فقد نكلوا عن رأيهم السابق في هذا
الاختلاط الشغوى . بما فيه الرقص على أقدام الموسيقى وحفلات الشاي « البريئة »
والزهات الخلووية « تحت رقابة الوالدين أو إشراف المدرسين » .

فهم يقولون اليوم : إن كل اختلاط من شأنه أن يهيج مشاعر التريزة
لأن يحمدها .

فإذا كانت هذه للشاعر تسكّت أو تسكت ، بحكم ظروف الاجتماع التي
لا تمكن من التنفيذ السلي ، أو بحكم الحياء من الظهور أمام اللوجسودين
والوجودات بمظهر المجتمع للتطش ، أو لأى سبب آخر ، فإن هذا على أى حال
يحدث لو أن من التلق النفس والعصبى ، بعد المدد للوقت الذى قد تحدته
الاجتماعات المختلطة .

وعندئذ يحدث أحد أمرين : فإما أن يلجأ الشاب إلى مكان آخر لا تقوم
حوله المحاريج ، أو يظل في قفقه للتسد للأعصاب .

فأى براءة وأى تهذيب ؟ !

إن الواقع يثبت أن دهوى البراءة والصدقة بين الجنسين باطلقة يملؤها الخلداع
والزيف . .

بل زاد بعض الأطباء أن يقولوا : إن الاستمرار على هذه الخال ، أى الإثارة الدائمة قد يؤدي عند الشباب إلى ضعف جسى عصبى ، بالإضافة إلى الإهانة النفسية الدائمة .

وهكذا انكشفت حكاية « التهنيز الجنسى بالاختلاط البرى » عن وم كبير !

فما قيمة أن تتهذب مع واحدة بينما ، لتنتقل مع أخرى كالحيوان ، أو تظل دائماً فى لغة وهيام ، وما قيمة أن تكون الفتاة التى تهذبك اليوم وتهذب بك غريسة تفتى آخر قد « تهذب » من قبل . .
إنها أضغرة أو سمار رقيق جداً يكشف عن اللطافة التى تستر وراءه .

وعلى أى حال فقد كفر الترب بها ، ولم يدزعم أن الاختلاط البرى أمر ممكن التنفيذ . لقد ألقى القناع ، وأعلن فى صراحة حمقاء ، أنه قد أباح لفتياته وحياته أن يفعلوا ما يشاءون بلا حياء !

فأبال هذا الشرق المسكين ينشبت بهذه الأساطير ؟ !

وفى أى مكان على ظهر الأرض يوجد اليوم — أو وجد قبل اليوم — اختلاط برى ، حتى يدنو إليه هنا الكتائب وللزقون ؟

ألا قليلاً الكتائب القارغون أسطواناتهم جلجة جديدة قد بطلت العليقة الأولى ، وأصبحت غير ذات موضوع !

وقد كان الإسلام أشد بصرأ بالعليقة البشرية ، وأدنى بإسكانياتها ومسارها الخفية ، - حين منع هذا الاختلاط ، وهو يعلم أنه لن يظل بريئاً قيد خطوات .

وهما هو واقع الاختلاط في مجتمعا يشهد بأنه داء لا دواء .. وأنه لا مدخل
في تهمة التريزة وتخفيف حلتها ، بل إنه على عكس ذلك ، يشير لها ويمجد لها
الطرق ، ولن تنفي عنا شيئا كملت البراءة والتهديب ، والتفاق الذي يخفي وراءه
الأحوال . .

وهما هي الجامعات في البلاد الإسلامية التي تقلد الغرب في الاختلاط بين
الطلاب والطالبات ، تشهد بأوضاعها المضطربة على كذب دعوى البراءة
والتهديب وراء الاختلاط ، بل إن أزياء الكثرة من الطالبات ليست أزياء علم
ولا براءة ، بل هي أزياء فتنه واستكثرة ، مما يدل على اللئل والأفكار التي تنشي
هذه البيئة . .

والثابت أن أكثر دعاة هذا الاختلاط في مجتمعا الإسلامي المعاصر لم
يكونوا أسواق الثببات في أخلاقهم وسلوكهم . . وبعضهم كان يعيش عزبا
لا زوجة له ولا ولد ، ومع ذلك كانوا يلحون في تحقيق أوضاع الاختلاط وتسميته ،
لأنه لا شيء لديهم يحشون عليه ، وهم يريدون أن يتم الفساد ، حتى يتوهوا
في التمار . .

ونحن نذكر نزوة بعض الصغيفين للسفليين الذين كانوا بمصر ، حينما تفرق
أحدهم دعوة غربية ، هي أن تسلم الفتاة محبة تقود بسيارات النقل . . لتخشي
جامعير الرجال في زحامهم الرهيب !

وكان الرجال القادرين على هذا العمل ، وهم فوق الحاجة ، لم يبدلم وجود ..
ولم يكن لهذا الصغيف من هدف إلا أن يرى المرأة مبتذلة في كل مكان .. وكان
مؤسسته الصغيفية تروج بهذا اللون من الاختلاط للريب . .

وهما هي بعض البلاد همرية التي تسير وفق النظام التتري ، والتي ينطلق فيها

الناس على أحوالهم، تأنى في هذه الأيام من موجة اختطاف القتليات ، مع شيوع الاختلاط في الجامعات والنوادي وللواخير . . ولكن شيئاً من ذلك لم يصب التراز بتهديب ولا تأديب . .

والتجربة هي التي تقض كل دعوى وتكشف كل بهتان . .
فليس هناك جدوى من أن نخادع أنفسنا بكلمات قهلت قيمتها ونجرت من كل حقيقة . .

وصدق التعبير البصير :

« وإذا سألتهم متاعاً فاسألهم من وراء حجاب ، ذلكم أظهر قلوبكم وقلوبهم (١) » .

تلك هي القطرة الإنسانية الأصلية التي لا تترف الزور والفاق وذلك هو الوضع الذي يصلح عليه أمر الإنسان في كل زمان ومكان . .
ونعجب أشد العجب لما كتبه بعض الشيوخ (٢) الذين اشتهروا بالحرص على التفتيق بين الأوضاع القرية السائنة وبين الإسلام في إحدى المجلات ، يرد على من احتج عليه بهذه الآية ، فقال الشيخ إن هذه الآية خاصة بأهبات المؤمنين . .

وكان القرآن حين يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :
« يا أيها النبي اتق الله » ينصه بذلك الأمر ، ويحفي منه شائر المؤمنين . .
وها هو القرآن يجمع في أمر واحد بين نساء النبي وبناته ونساء المؤمنين .
جميعاً ، فيقول سبحانه :

(١) سورة الأحزاب ٥٣ .

(٢) مجلة الرنى عدد ديسمبر ١٩٧٢ . الشيخ الباقوري

« يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » مما يدل على أن القرآن قد سجل نساء النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى للمؤمنات جميعاً .
ولا خصوصية لمن إلا في حرمة نكاحهن .

لكن الجدل بالباطل واتباع الأهواء ، مع قدرة البيان ، يصبح للناس فتنة !

إحاطة البناء :

أما هذه الدعوة الخاطئة فما كان لنا أن نجعلها موضعاً للمناقشة ، لولا أن بعض من حملوا الأقلام في أيام سود ، أعلنوها على الناس ، وألحوا بها ، وما زال بعض هؤلاء يعيشون بيننا ، وبعضهم حاول أن يضل قله من هذا الدنس ، وبعضهم حاول أن يقتدر بأنه كان مدفوعاً أو مأجوراً . .

ولما كانت هذه المحاولة موجودة في الترب الذي يتخذه البعض مثلاً أعلى في نخط الحياة . بل كتب الدكتور أحمد زكي أخيراً في مجلة التربي^(١) يمدح الترب علينا ، ويرى أن من التفوق أن نحاول اختيار نهج آخر لحياتنا غير نهج الترب مادامت ملائمتنا وموافق حياتنا ووسائل مقتنا كلها من الترب ، سواء كانت بأيدي أبنائه أو من وحي حضارته !

قلنا قلن علينا أن نصبر على مضض مناقشة هذه الفكرة الخبيثة . ليرك من هلك عن بينة . .

ونبدأ بمناقشة الأسس الذي تقوم عليه هذه الدعوة التي أنها تحاول علاج مشكلة باسطاع عشرات من الشكلات للعقدة .

فالفروض في أى مجتمع إنسانى معضّر أنه يرى لكل فرد فيه من القيمة-
والحقوق قدراً مستويًا ..

فأى طبقة من النساء يريد هؤلاء أن يخصوها بهذا اللون من الحياة للهيئة ،
وأى مجتمع ذلك الذى يحمل من بعض نساته موصفاً شائنة فقد كل قيمة للإنسانية-
وكل فرصة للحياة للتوازنة ..

أو يلقى مجتمع إنسانى أن يضخ من الحاجة إلى القوة وسيلة يهدر بها إنسانية
الإنسان ، ويهوى بها إلى درك لا تعرفه أجناس الحيوان ؟

إنه إذن مجتمع خبيث العلاقات ، لا يؤمن بالسواة ، ولا يرضى فيه الناس
لتوهم ما يرضونه لأقسهم .. ولا يبنى عنهم بعد ذلك ادعاء الحضارة أو التشديق
بالشمارات الجوفاء للتقدم والتطور .. إن الجاهليات القديمة قد تنزهت عن هذا
الجنس ، ونظرت إليه نظرة ازدراء في جملة الأمر .. إذ كان مما يلدح به العرب
أن أحدهم لا يرضى لظلمة إزاره أى لا يدخل بيتاً من بيوت البناء !

ولكن جاهلية الحضارة للادية رخصت لمجتمعاتها وصحة البناء ، واستهانت
بكل القيم والمعاني الإنسانية ، في سبيل لإرضاء نزوات الحيوانية الجامحة ، بل هى كما
قلنا مما يضنه عنه الحيوان !

وسواء فى هذا التدنى المجتمعات التى بلغت قمة الحضارة .. والتى تمشى فى
ظلمات التخلف .. فما دامت الجاهلية تمشى الأبصار فلا فرق فى الآتجاه ..

فهذه صورة من صور عديدة مما يزعم المجتمعات المادية من فساد واتى يريد
دعاة الضلالة أن يكونوا بها مجتمعات الإسلام :

نشرت صحيفة « نيوز أوف دنى ورلد » الإنجليزية بتاريخ ١٠/٨/١٩٦٥م ،

تهدف بيتا من بيوت البناء في ألمانيا مايلي (١) :

« خلف جسر السكة الحديدية الحاذي لحطة دوسلدورف بألمانيا أقيمت إحدى السمات الشائعة ، التي تعد أعظم ما في أوروبا ، إن لم يكن في العالم كله ! لا يوجد خارجها أطفال يلعبون ويضحكون في صعودهم أو نزولهم ، ولا يوجد بداخلها كذلك سيدات يحملن همومهن ومشاكلهن اليومية ! »
« وبدلاً من ذلك : يتنزه اليهود الأثامى الممارة بالرجال طول الأربع والعشرين ساعة يومياً ، ومحاذيات لنوافذ القسيحة مجلس نساء .. »

« والممارة من النماذج الخاصة لمحاولات الأخيرة التي تقوم بها للدخول في ألمانيا الغربية كلها حل مشكلة للممارسة غير الشرعية . وبالاختصار .. هذه الممارسة الضخمة « نزل » لبنات الشارع ، وهي مروفة بين السكان المحليين بـ « مصنع الجنس » وبين الجنود البريطانيين للمسكرين هناك باسم « حوش المصافير » وعدد سكانها مئتان . والأحذية الثابتة بينهن من الألمانيات ، والأقلية تشكلها فرنسيات ، مع بعض الممرقات . ولكن لا يتعرض اليهود الأثامى الممارة وما يجري فيها من نشاط لنظر المارة .. مدت ستارة من « البلاستيك » روعيت فيها الحققة ، لألمانية المروقة ، تمنحجب هذا النشاط ، وكذلك ما يقرب من مائة رجل .. من جميع الأنواع بينهم رجل الأعمال الثرى ، ومنهم الشيخ والشاب ، وقد كان أحد الشيوخ هناك ويبلغ من العمر سبعة وستين عاماً ! »

« وفي هذا اليهود تمر القتيات في عرض أمامهم تحت مظلات تبث التمتع وتقيمن رذاذ الطر للتساؤل في اليهود .. »

(١) تعال من كتاب الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الأسرة والتكامل للدكتور محمد البهي

« وقد كان هذا للنظر منظرًا آثمًا يشبه سوق الرقيق ، تحت سماء ملهدة
باليوم ومستمرة في إرسال رذاذ الطر .

« وظلت الفتيات في عرض أنفسهن على الرجال ، ذلك العرض للمزق
للإنسانية ... » .

وتحدث مراسل هذه الصحيفة مع رئيس للؤسه « الدكتور اوير »
وهو من أنصار فكرتها للصمسين لها .. فذكر أسباب هذه التجربة
وقائدها فيما يلي :

« إن الأمر وصل بنا مرة أن وجدنا هنا ما يقرب من أربعة آلاف ! من
النساء يرصن أنفسهن في شوارع « دوسلدورف » ولم يكن جيمًا محترقات ، بل
كان يئنهن طالبات في الجامعات ، وزوجات لمن رغبة في تكسب للال » .

« وكادت الأمور تخرج من التحكم فيها ، وكذلك لم يكن من الممكن
تسديد المحرمات أن يسرن في الشوارع ومن في مأمن من الظن السيء والنصير
الخالط .. وكاد أمر المرور يصير إلى التوقف .. إلى أن اعترضت إحدى
صاحبات النوادي الليلية فكرة بناء علامة كنزل للفتيات ، وواقت عليها
السلطات المختصة » .

والشيء الذي يشغل البال في تلك المدن ، ويشير الاختلاف بين السلطات
والمحكمة الإدارية العليا هناك : هو ضريبة الدخل التي تقرر عليهم :

— أَدْخُلُ فِي بَابِ الخَطَمَاتِ ؟ !

— أَمْ فِي بَابِ تِجَارَةِ الْأَشْيَاءِ الْأَيُّقَةِ ! !

هؤلاء هم الذين يزودون على تمدد الزوجات في الإسلام ..

ويطعنون في تاريخنا الإسلامي بأنه تاريخ جوار ومجون ..

وهذه حضارتهم التي تمنح في الإنسان أكرم ما فيه ..
وتجمل من المرأة سلعة نباع وتشترى ، وتسلبها الكرامة والاحترام .

* * *

فليس مما يليق بكرامة المجتمع الإنساني أن يقر البناء بأى دافع كان ..
إن كان بدافع القوت .. فليس ذلك من الرحمة أو العدل .. إذ هو إذلال.
للإنسانية وإتهان للمواطف وللشاعر .. وإن كان بدافع الجوع والنزوة فهو عدوان
لا بد أن يقاوم قبل أن يفسد على الناس حياتهم ، كما يتنا ذلك في فصل « فوضى
التريزة » .

وعلى كل .. فلن يحمل البناء مشكلة الشباب .. بل إنه يزيدنا تعقيداً
وفساداً ..

إن الأمر القسى الذى يخطف عن هذه الخبيثة في نفوس الشباب أشد خطراً
عليهم من الكبت والحرقان ..

فهناك عادات خلقية تصيب الشباب لدى يأف هذه البيئات الغفنة ، ويرى
ما فيها من علاقات خبيثة ومآسى تهدر كل قيمة للإنسان ..

كيف ينظر الرجل الناضج إلى البنى ؟

وكيف تنظر هى إليه ؟

وأى صلة نفسية بينهما ؟

إن كلامها يحقر الآخر ويستفدده ، ولكنه يكبت هذا الشعور للمهين ،
وفي البيئات الأوربية الغفنة تشبه ميوت البناء دورات المياه ، يقصدها حيوانات
البشر على حبل ، حيث تتمتع إنسانية المرأة ، ويموت فيها كل شعور بالكرامة
والحياة ..

« وساء سيلا .. نرضاه لشبابنا .. أن تقضى في النفوس على الحياة ونظافة الشعور وبراءة الإحساس ، وأن نهبط بهم إلى هذا الحضيض في الشاعر والملك . »

إن الشباب الذى تصيبه تلك الوباء لا يستقيم له أمر ، ولا يصلح لأداء واجب ، أو حمل مسئولية ، في مجتمع ذى قيم ومبادئ ، كجميع الإسلام . . .
وإلى جانب الماهات النفسية التى يحتفظها البناء للرجال والنساء على السواء فإنه يخلط الطلل البدنية والأمراض الخفية التى يعرف الطب آثارها المدمرة فى الصحة الفردية والاجتماعية .

فالبناء فى حقيقته تلويث شامل للفرد والمجتمع ، وإشاعة الفاحشة وتوسيع لطائفها ، وإذابة لأخلاق المجتمع ودعائمه ، وهلم لذلك الاجتماعية وقضاء على فرص الحياة السعيدة .

ولهذا حرّمه الإسلام ، وطهر منه مجتمعه منذ قام .
وقد كان البناء معروفاً فى الجاهلية فى صور متعددة .

فمن ذلك : « .. كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طهرتها : أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه وسنزلها زوجا حتى يتبين حملها ، فإذا تبين أصابها إذا أحب وإنما يفضل ذلك رغبة فى نجابة الولد . . . »

هذا لون من فوضى الجاهلية . ففى عليه الإسلام . . .
وكان منه أيضاً لون آخر :

« . . . مجتمع الرهط ما دون الشرة ، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فلذا حلت ووضعت وصر عليها ليال ، أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى . . . »
(٢ - ٧)

يجمعوا عندها ، تقول لهم قد عرفتم ما كان من أمركم ، فقد ولدت ، فهو ابنك
يا فلان ، تسمى من أحببت باسمه ، فيلقب به ولدها لا يستطيع أن يتمتع منه الرجل »
ولون آخر . .

« . . يجمع ناس كثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها ، ومن البنات
ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن » .
ثم قول عائشة رضى الله عنها :

« فلما بث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق ، حرم نكاح الجاهلية كله إلا
نكاح الذنوب اليوم (١) » وهو الزواج المستقر على دعائه للتلى التي أقامها الإسلام .
فكيف يريد قوم أن يرجعوا بالجميع السلم إلى ظلام الجاهلية العمياء !
ولا يستحون من هذا الخزي الذي يشيع في أفلامهم ويبدو من فلتات ألسنتهم .
إنهم حقاً كما قال الله سبحانه :
« يشقرون الصلاة ويريدون أن تضلوا السبيل (٢) » .

(١) رواه البخاري (٢) سورة النساء ٤٤ .

نأى الإسلام

إن النظرة الإسلامية لشكبة الشباب نظرة صادقة واقعية .. لا تصاحل الحقائق ولا تعرف الزيف والخداع . بل تتناول للشكبة تناولاً دقيقاً ، وتقدم لها علاجاً يتناسب مع ظروف كل مجتمع وإمكاناته .

يرى الإسلام - كما قدمنا - أن الحل الأقوم لشكبة العريضة هو الزواج . فهو العلاج الذى يقضى على للشكبة تماماً ، ويربح المجتمع من الانحراف والعبث فى المحاولات غير للشريعة لتفتيس من الكبت والخروج من دائرة الحرمان . ولذلك يصحح الخطاب فى القرآن إلى الجماعة للسلة أن تيسر الزواج للأيامى وتعينهم عليه .

« وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ » (١) .
والأيم : من لا زوج لهم من الرجال أو النساء .

ولكن الأوضاع الاقتصادية قد تبلو عاتقاً دون ذلك ، والتقر ظاهرة لا يخلو منها مجتمع ..

وهنا يدهونا الإسلام إلى الثقة فى فضل الله ، فهو سبحانه ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر ، وما دام الشاب يقدم على الزواج ابتغاء للغة واستجابة لأمر الله بحسوف يمينه الله ويثنيه ..

« إِنْ يَسْكُوتُوا قَرَأُوا يُسْمِعَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » ..

وليس هذا تواكلاً أو عجزاً ، ولكنه عامل نفسى قوى يدفع للتباح

والإفراج .. وحين نهذا أعصاب القى وتغف عنه وطأة التريزة وإلحاحها ، فحين ذلك يفتح له الحقوق والنبوغ في كل الليادين . وحين يشعر بالسؤولية القى حملها يتصرف عن الإهمل والعبث ، ويأخذ أهيت القيام بأعبائه والوفاء بما ألزم به .. ومن هنا يد الزواج للبكر بابا من أبواب الرجوة والكفاح ، لا يتخلف عنه التوفيق والذبح ، ولذلك اعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم ميلا الميسرة والتقى حين قال لما نزل قوله تعالى : إن يكونوا قراء ينهم الله من فضله : « اطلبوا التنى في هذه الآية (١) » .

فإن لم يستطع الشاب بطروقه الخاصة الإقدام على الزواج - فلي المجتمع أن يعينه عليه ويسره له الأمر - فالخطاب في قوله تعالى :

« وأنكحوا الأيامى منكم » متجه إلى الجماعة للسلطة عامة وإلى أولى الأمر خاصة ، ويضيف الإسلام إلى هذا توجيه للسلمين إلى تيسير مطالب الزواج ونهوزن تكاليفه .. فالصدق ينبغي ألا يكون عبئا ثقيلا يتوه به الراقبون في إعفاف أنفسهم ، بل هو في نظر الإسلام رمز يمثل في أى شىء له قيمة مهما بلغت من النة ..

وقد خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال :

« ألا لا تالوا بصدق النساء ، فإنها لو كانت مسكرة في الدنيا أو تقوى عند الله ، كان أولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم . ما صدق رسول الله امرأة من نسائه ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من ثنى عشرة أوقية (٢) » .

وقد طلب رجل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يزوجه امرأة ، فقال له النبي : هل عندك من شىء ؟

(١) تفسير البضاوى وغيره . ونسبه ابن كثير لابن مسعود ،

(٢) رواه أصحاب السنن .

قال : لا والله يا رسول الله !

قال : اذهب إلى أهلك فاطفر مل تجد شيئا ؟ . فذهب ثم رجع فقال :
لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئا .

قال : انظر ولو خاتما من حديد ! .

فذهب ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ! ولكن
هذا ليزارى فلها نصفه ! .

فقال رسول الله : ما تصنع يا زارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء ، وإن
لبسته لم يكن عليك منه شيء . فجلس الرجل حتى طال مجلسه ، ثم قام ، فرأه رسول
الله موقيا فأمر به فدعى فلما جاء قال له : ماذا علك من القرآن ؟

قال : معي سورة كذا وسورة كذا ، عددها .

قال : أتروهن عن ظهر قلبك ؟

فقال : نعم . قال : اذهب فقد زوجتكها بما معك من القرآن ! (١) .

فليس وراء هذا بساطة ولا تيسير !

• • •

والسأفة في حقيقتها ينبغي أن تكون فردية . .

فلو ترك الشباب أنفسهم ، ليقبس كل شاب إمكانياته ويدرس أوضاع حياته
لأمكن لكثير من الشباب أن يتزوجوا .

على أساس هذه النظرة الواقعية أتجه الخطاب الإسلامي للشباب في هذا العدد
انجلاها فرديا ، لكي يشعر كل شاب أنه يحصل للتشوية أولا ، وأن عليه أن

يقرر أمره وقيس إمكانياته ثم يقرر ما يراه على أساس من الصدق والوظيفة.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« يامشركم الشباب ، من استطاع منكم النجاة - أي أعباء الزواج -
فليتزوج فإنه أفضل للبصر وأحسن للفرج » (١) .

وهذا خطاب حكيم يعترف بالواقع ويحدد للمسئولية . .

ولكن السبب في مجئنا أن تصدر أحكام عامة أن الشباب لا ينبغي لهم أن
يتزوج ، وإنما يمكنه أن يبيت ويصرف ، فليست عليه مؤونة في هذا
الانحراف . .

مع أن حياة الانحلال والعبث والضياح التي يحياها بعض الشباب ، تسكنهم
من الأعباء الاقتصادية متنبهون مه أعباء الزواج . . بل إن الخسارة في الإنتاج
والتحصيل التي تصيب الشباب من الخطيئة والانحراف ، أعظم بكثير من كل
نفقة تصرف أو جهد يبذل في سبيل الزواج . .

وإنا لنقارن :

لماذا لا تكيف أحوال الشباب بصورة تيسر الزواج للراغبين ، فيستطيع
طالب العلم مثلا أن يجمع بين الدراسة والعمل في أوقات الفراغ . .
إن الشباب في كثير من المجتمعات الإسلامية المعاصرة ينفق أوقات فراغه
بأسلوب سيئ ، يلحق الأذى بالمجتمع ويشقيه ، فهو يقضى أوقاتا طويلة في اللهو ،
وفي التسكع في الطرقات ، وفي الترواى ، وفي الإيذاء والإغواء . .

وإن في ذلك لضياعا لكثير من الجهود ، وتبديدا لكثير من القوى !!

فما الذي يحول بين الشباب وأن يعمل ويعمل عملا يناسبه في أمته ؟ .

إن العمل مع طلب الملتحقين القرائغ ، ويحفظ الطاقة ، ويعم من الانحراف
ويثبت في الشباب عزمة الرجوة وتحمل الأعباء .

وقد يبدو الأمر قريباً في الجامعات وما يشبهها .

ففيها أعداد كثيرة من الطالبات .. ويمكن أن تيسر السبل ونزال الصعاب
ليسهل الزواج بين الطلبة والطالبات لراغبين في الزواج .

وبدلاً من أن يتجه القتي لإغواء زميلته أو خداعها بأي لون ، يحدها قد
أصبحت زوجة له تقاسمه أعباء الدراسة وأعباء الحياة .. !

والذين يصلون على النهوض بالروح الجامعية وإشاعتها بين الطلبة والطالبات
يستطيعون الإسهام — لو صدقت التيات — في تيسير هذا الحل وتحقيقه .

ولكن بعض الناس يريدون أن تظل هذه المشكلة دون حل ليصعدوا باسمها
ويتصدروا ميدان القيادة والتوجيه .

والمؤسف أن أكثر الذين يتحدثون عن مشكلة الشباب ، يحملون رأى
الإسلام في مشكلة الشباب ولا يُعنون بصره ، ويذهبون بعيداً ، ينال الحل في
مقناولهم سهل قريب .. .

* * *

فإذا لم يتيسر الزواج للشباب بسبب اقتصادي أو اجتماعي ولم يرق المجتمع
بواجبه نحوهم في هذا السبيل فإذا يفعلون ؟

هنا ينادي الإسلام الشباب لياخذ بأيديهم إلى سبيل أخرى ويحولهم إلى
أفق رفيع تحفه الأيجاد ويحيطه الطهر والنقاء .

إنه يتساعى بطقائهم المذخورة في ميادين قلبيهم عن نداء التفرزة وتصميمهم
من الإكباب عليها .. .

ويبدأ التهج الإسلامي للشباب بدعوة قوم على أساس الإيمان ..

دعوة من الله سبحانه للشباب ليناسي ويخفف ويظهر .. ولكن لا يكتف .
 فالإحساس بالفرصة - كما قدمنا - ليس إنمى ، ومعنى إيجابتها بالطريق المشروع
 لأخرج فيه ؛ ولكن الأمر في نظر الشباب العلم - يرتبط بالحسن للناس ، فهو
 مع غفته واستمع منه يرجو اليوم الذى ينسى له فيه أن يأوى إلى رحاب الأسرة
 ليستد وينعم بظل من رضوان الله وعونه . والمساعدة إلى بحسب الشباب بانتصاره
 على دعوات الفوضى وإغراء الإباحة ، أعظم بكثير من كل متعة مختلة أو
 تطلع حثير .

وعلا ما يوحى به قول الله سبحانه :

« وليستغف الذين لا يحدون نكاحاً ، حتى يُنهيهم الله من فضله » (١) .

فهذه الدعوة إلى الغف - حتى يُنهي الله - ربة هبة تقوى الإرادة وتُسبب
 العزيمة ، وتثير الطريق أمام الشباب . وهى كذلك تقضى على الكبت النفسى
 والعصى ، وتفتح الشباب الطمأنينة والاستقرار .

ثم رسم القرآن للتل الأهل لسعة الشباب ، فى هذه البطولة الفنية التى تقبل
 فى قصة يوسف عليه السلام ، وجعلها نموذجاً رائداً لاقتصار العقل على القوى ، وقوة
 الإرادة فى وجه وساوس الشهوة : « ولقد رآه من غمه فاستعصم » وكان فى
 استعصامه آية لما يشهده اليقين بالله وأنطوف من عقابه « ولقد همت به وهم بها لولا
 أن رأى برهان ربه » فظهر بين العقل إلى العاقبة ، وفاز بين لغة فانية وعقوبة
 باقية وأثر قبيح . .

ولم يكن ذلك البرهان معجزة خارقة أو قوة خارجية حالت بينه وبين المعصية كما يذكر بعض المفسرين .

وإنما كان برهان الدليل أضاء في صدره فأزاح ظلمات الشهوة ووساوس الشيطان : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » .

بل إن يوسف عليه السلام بلغ في بطولته النفسية أرفع الدرجات حين تأزم الأمر ، ولم يصيح أمامه إلا أسمران : ظلمات السجن أو ارتكاب الفحشاء ، فلذا هو يستل على الشهوات ويرى السجن أهون منها وأسلم عاقبة ، وهذا في منطق الله عجيب كل العجيب ، ولكنه في منطق الإيمان بديهية لا تخفى على الشك :

« قال رب السجن أحبُّ إلي مما يدعونني إليه » .

ثم نراه لا ينسى الاعتصام بالله والنجاة إليه ، إذ كانت مجاهدته لأجله وكان صبره حباً لطاعته وكرامة لمعصيته ، ولأنه يعلم أن التوفيق منه والمداية بيده : « وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين . فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم » .

ولبت يوسف في السجن يضع سنين ، ولا ذنب له إلا اللفة وطهارة الخلق ! ثم كان في السجن ظهور أسره وعرفان قدره . حتى كانت نجاة مقرونة ببراءته وتمكينه في الأرض : « قلن حاش لله ما عملنا عليه من سوء . قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين » .

وذلك للثل صورة تضيء للشباب في كل جيل وقيل ، تزين لهم طريق الاستغفار وترهم حسن عاقبته في الدنيا قبل الآخرة . .

وهذه أحاديث الرسول صلوات الله عليه تزرع بما كان يوجهه إلى الشباب من حث على العفة وتوجيهه إلى الصابرة ولم بذلك أرفع الدرجات . .

فهو يقول : « يا شباب قریش : احفظوا فروجكم ، لا تزنوا ، آلا من من حفظ فرجه لله الجنة (١) » .

« يا فتیان قریش : لا تزنوا ، فإنه من سَلِمَ له شبابه دخل الجنة (٢) »

وذلك إشارات إلى التوجيه النفسى تہدى إلى ألوان كثيرة من الدعوة والإقناع .

ومن الوجهة السلوكية يمد الإسلام للشباب رايح يستلون فيها طاقاتهم فيما يسود على أنفسهم وعلى أمتهم بالخير والتمام . فالعبادة بصورها المختلفة والخدمة العامة التى يحملها الإسلام فريضة على كل قادر ، والقرومية والاستعداد للجهاد ، كل ذلك كان حمة من سمات الشباب المسلم فى كل المصور . وقد كانت « الفترة الإسلامية » نظاماً عاماً فى الأقطار الإسلامية ، تحقيقاً لقول الله سبحانه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » (٣) . ولذلك كان عمر بن الخطاب يقول للمسلمين : « غلوا أولادكم الرماية وركوب الخيل ومروم فليثبوا على الخيل وثبا » .

والأمر متروك للمجتمع ليختار للشباب وجوه النشاط والعمل ، التى تحقق الإعلاء والتسامى بالتمريزة ، وتصرف الطاقة فيما يفيد .

أما الفتاة فالأمثل لها أن تشتغل فى أوقات فراغها بالتهوى الأمومة والتخصص فى شئون الأسرة ورعاية النفس ، وتعلم ما يتصل بذلك من تربية أو حيد ، ثم بإشاعة المرحه وبذل العون فى كل جانب يحتاج إلى جهدها .

(١) رواه الحاكم والبيهقى .

(٢) البيهقى .

(٣) سورة الأنفال - ٦٠

ومن مناهج التسامى بالفريزة وإعلانها مادام الرسول صلى الله عليه وسلم —
الشباب إليه ، حين قال : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج »
ومن لم يستطع فليصوم ، فإنه له وجاء » (١) أى وقاية وستر .

والصيام فوق كونه يقوى الإرادة ويثبت العزيمة ، يهذب الفريزة ويصرف
الطاقة ، وهو صورة من صور العبادة التى تملأ القلب بالسكينة والطمأنينة والإيمان ،
فيرتفع عن النزوات والشهوات .

والى جوار هذا بهم الإسلام برعاية الشباب فسيماً ونكراً يا فلايد من الوصول
إلى قلوبهم وتصحيح اتجاهاتهم فى جانب الفريزة ..

وفى هذا الحديث مثل صالح يحظى به ويُسار على هداه .

روى الطبرانى عن أنى أمانة قل : جاء شاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له : يا رسول الله ، ائذن لى فى الزنا .

فتصايح الناس وأنكروا قوله . ولكن رسول الله صلات الله عليه أدناه
منه ودار بينهما هذا الحوار :

— هل ترضاه لأهلك ؟

— لا

— كذلك الناس لا يرضونه لأمتهم

— هل ترضاه لأختك ؟

— لا

— كذلك الناس لا يرضونها لأخواتهم

- هل ترضاه لا يفتك ؟

- لا

- كذلك الناس لا يرضونه لبناهم .

وهكذا وضع الرسول صلوات الله عليه يده التي على الحقيقة وتمت نظره إلى
حكمة اللع والخطر ، وأيقظ في نفسه الشعور الاجتماعي ، وكف عنه حدة الأنانية التي
تقبح المولى وتفسد من علاقة الفرد بالمجتمع وعن القدر الاجتماعي الذي ارتقت به
الحياة . ثم دعا له مدعوات موجبة ذات مغزى عميق ، قال : « اللهم طهر قلبه ،
وحصن فرجه ، وغض بصره » .

قال النبي : « فوافد ما التفت بملها شيء من ذلك أبدا » .

فهذا يكشف عن واقعية الإسلام ، وقسمة لمشارع الشباب وتقديره لا يمانيه
من صراع بين الواجب والآفة وبين الثل والواقع ، وهي لحة ينبغي أن يسير على
خطاها المداة والمرشدون في كل زمان .

• • •

وثبت هنا كلمة طريقة تمثل لونا من التوجيه الإسلامي للعاصر للشباب فهي
تتزوج منهم البصير والإفناح الماضي الذي يدعو إلى الحق بالحكمة والورعة
الحسنة (١) :

« لماذا تكتب إلى على تردد واستعيا ؟

أحسب أنك أنت وحلك لقي بحس هذه الوصلة في أمصاه من ضرر
الشهوة ، وأنت أنت وحلك الذي اختر بهادون الناس أجمعين ؟

(١) لا تلتفت على الخلق الذي من كيار غشاة سوريا وأدبها . .

لا يابى ، هوّن عليك ، فليس الذى تشكر ذاك وحذك ، ولكنه دام .
الشباب .

ولئن أرتك هذا الذى تجمد ، وأنت فى السابعة عشرة ، فلعلنا أرتى كثيرين .
غيرك ، صغارا وكبارا ، ولعلنا نرى عن هيونهم لذيق السكرى ، ولعلنا نعرف
من درسه التلميذ ، وعن عمله العامل ، وعن تجارته التاجر ..

وما الحب الذى اقتن فى وصفه الشعراء ، وفى تحليله الأدباء ، إلا ما جمده أنت .
مواء بسواء ، ولسكنك أخذته مجردا مكشوقا ، فرفقه الناس ولم يمتدحوا عنه ،
وأخذوه فلفوه ليخدعوا عن حقيقة الناس . وشربت فيك من النبيوع ، وشربوا
بالكأس الذهبية الملوثة ، وللاء فى كأس أبي نواس التى أقام فى قرارتها .
كسرى ، كلاء فى الساقية ، والشهوة فى رسالتك إلى ، كانشهوة فى غزل الشعراء ،
وشعر الفززين ، ولوحات المصورين ، والحنان للفتن ، ولكن الضمير هاهنا يبرز .
ظاهر ، والضمير هنالك مستتر خفى ، وشعر الداء ما خفى واستترا

إبه ما أشرف على مثل منك أحد إلا توقد فى نفسه شئ . كان خامدا . فأحس .
حره فى أعصابه ، وتبدلت فى عينه الدنيا غير الدنيا والناس غير الناس .

فلم يدري المرأة على حقيقتها إنسانا من دم ولحم ، له ما للإنسان من لازايا
وما فيه من الصوب ، ولكن أملا فيه تجتمع الآمال كلها ، وأمنية فيها تلقى .
الأماني ، ويلبسها من خيال غريزته ثوبا يخفى عيوبها ويستر نقائصها ، ويبرزها
تمثالا لغير المحض والجمال المسكل ، ويمل منها ما يمل الوثني من الحجر ينحته
بيده صنما ، ثم يبده بطويعه رجا !

إن الصنم الوثني رب من حجر ، والمرأة العاشق وثن من خيال !
كل هذا طبيعى مقول ، ولكن الذى لا يكون أبدا طبيعيا ولا مقولا ،

أن يحس القى بهذا كله في سن خمس عشرة أو ست عشرة سنة ، ثم يضطره أسلوب الصلح إلى البقاء في المدرسة إلى سن العشرين أو خمس وعشرين .

فإذا يصنع في هذه السنوات ، وهي أشد سنى المضطرام شهوة واضطراب جسد ، وهيناً وغلياناً ؟

ماذا يصنع ؟

هذه هي المشكلة !

أما سنة الله ، وطبيعة النفس ، فنقول له : تزوج .

وأما أوضاع المجتمع وأماليب الصلح فنقول له : اختر إحدى ثلاث كلها شر ، ولكن إليك أن تسكر في الزاوية التي هي وحدها الخير ، وهي الزواج !

١- إما أن تطوى على نفسك ، على أوهام هريزتك وأحلام شهوتك ، تدأب على التفكير فيها ، وتضيقها بالروايات الدخيرة والأفلام القابضة والصور العاهرة حتى تغلّ وحدها قسك ، وتستأثر بسمك وبصرك ، فلا ترى حيناً نظرت إلا صور التفتد القوتن ، تراهن في كتاب « الجغرافيا » إن فضته ، وفي طلمة البدر إن لحته ، وفي حمرة الشفق ، وفي سواد الليل ، وفي أحلام اليقظة وفي رؤى المنام ..

أريد لأتسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيل

ثم لا تنهى بك الحل إلا إلى الموص أو الجنون أو انهيار الأعصاب .

٢- وإما أن تعد إلى ما يسمونه اليوم « الاستثناء » وقد كان يسمى قديماً غير هذا ، وقد تسكلم في حكمة الفقهاء ، وقال فيه الشراء ، وكان له في كعب الأداب باب ، لا أحب أن أدل عليه أو أرشد إليه ، وهو وإن كان أقل الثلاثة شراً وأخفها ضرراً ، لكنه إن جاوز حده ركب النفس بالهم ، والجسم

بالنعم، وجعل صاحبه الشاب كهلاً مغطاً ، كثيراً مستوحشاً ، يفر من الناس ويخجل عن لقاءهم ، ويخاف الحياة ويهرب من تبتئها ، وهذا حكم على المرء بالموت وهو في رباط الحياة .

٣- وإما أن تعرف من حمة اللة المحرمة وتسلك سبل الضلال ، وتؤم بيوت الفسح ، تبذل صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك في لذة عارضة ، ومعة طابرة ، فإذا أنت قد خسرت الشهادة التي تسمى إليها ، والوظيفة التي تحرص عليها ، والعلم الذي أملت فيه ، ولم يبق لك من قوتك وقوتك ما تضرب به في ليح العمل الحر .

ولا تحسب بد أنك تشبع .. كلا ، إنك كلما واصلت واحدة زادك الوصال نهماً ، كشارب الماء الملع ، لا يزداد شرباً إلا ازداد عطشاً ، ولو أنك عرفت آلاماً . فمن ثم رأيت أخرى متمعة عليك ، ممرضة عنك ، أرغبت فيها وحدها ، وأحسست من الألم لتفقدتها مثل الذي يحسه من لم يعرف أسراه قط !

وهبك وجلت منهن كل ما طلبت ، ووسعك السلطان وللال ، فهل يسعك الجسد ؟

وهل تقوى الصحة على حمل مطالب الشهوة ؟

دون ذلك وتنهأ أقوى الأجساد ، وكمن رجال كانوا أطعيب في القوة ، وكانوا أبطالاً في الرج والصرع والرى والتقى ، ما جى إلا أن استجابوا إلى شهواتهم وانقادوا إلى غرائزهم حتى أسوا حطاماً ...

إن من عجائب حكمة الله ، أنه جعل مع التفضية ثوابها ، الصحة والنشاط ، وجعل مع الرذيلة عقابها ، الانحطاط والمرض . ولرب رجل ما جاوز الثلاثين ، يبدو مما جار على قسه كابر ستين ، وابن ستين يبدو من البغاف كشاب في الثلاثين ،

ومن أمثال الإفرنج التي سمعتها وهي حق وصدق : من حفظ شبابه حُفظت
له شيخوخته .

وكأنى أسمك قول : هذا الماء فالدواء ؟

الدواء أن تعود إلى سنة الله وطباع الأشياء التي ملجأها الله عليها ، إن الله
محرّم شيئاً إلا أحل شيئاً مكانه ، حرّم الربابة وأحل التجارة ، وحرّم الزنا وأحل
الزواج ، والدواء هو الزواج .

فإن لم يجسر لك الزواج ، ولم ترد الفاحشة . فليس إلا التماسي ، وأنا لا أريد
أن أعتد هذا الفصل ، الذي كتبه ليكون مفهومًا واضحًا ، بمصطلحات علم النفس
لأنك أعدل إلى مثال أمته لك :

أترى بل إريق الشئ الذي ينل على النار ؟

إنك إن سدته فأحكت سده ، وأوقدت عليه ، فجزء البخار المحبوس ، وإن
خرقه سأل ماؤه فاحترق الإريق ، وإن وصلت به ذراعها كذراع القاطرة ، أذا ذلك
للصنع ، وسير التنظر وعمل الأعاجيب .

فالأولى حلة من يحبس نفسه على شهوته ، يفكر فيها ويكف عليها ،
والثانية حال من يتبع سبيل الضلال ويؤم مواطن اللذة المحرمة ، والثالثة
حالة التماسي .

فالتماسي هو أن تنفس عن نفسك بمجهود روي أو عقل أو قلب أو جسد ،
يستمد هذه القوة المدخرة ، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة . بالاتجاه إلى الله
والامتزاق في العبادة ، أو بالاتطاع إلى العمل والالتمس في البحث ، أو بالفرغ
لفن والتعبير عن هذه الصور التي تصورها لك غريزتك ، بالألفاظ شعرًا ، أو
بالألوان لوحة ، أو بالألحان نغماً ، أو بالجهد الجسدي والإقبال على الرياضة ،

والعناية بالنزوة الدينية أو البطولة الرياضية، والإنسان - يا ابنى - محب نفسه لا يقدم أحداً عليها، فإذا وقف أمام المرأة ورأى استدارة كفتيه، ومثانة صدره، وقوة يديه، كان هذا الجسم الرياضى للتناسق القوى، أحب إليه من كل جسد أنى، ولم يرض أن يضحى به، ويلعب قوته ويمصر عضلاته، ويسود به جلها على عظم، من أجل صواد عيني فتاة ولا من أجل زرقها ..

هذا هو الدواء : الزواج، وهو العلاج * كامل، فإن لم يمكن فالتنسى وهو مسكن مؤقت، ولكنه مسكن قوى، يفتح ولا يؤذى .

أما ما يقوله للنفلون، أو للفسدون، من أن دواء هذا القساد الأجهاى هو تمويد الجسمين الاختلاط حتى تنكسر بالاعتدال حدة الشهوة، وفتح « المحلات العمومية » حتى يقضى بها على البناء السرى، فكلام فارغ. وقد جربت الاختلاط أعم الكثرة كلها فما زادها إلا الشهوة وفساداً، أما المحلات العمومية فإننا إذا أفرغناها وجب أن نوسمها حتى تكفى الشبان جميعاً، وإذن فينبى أن يكون فى القاهرة أكثر من عشرة آلاف بنى، لأن فى القاهرة مائة ألف شاب على الأقل .. وإذا نحن جوزنا للشباب ارتيادها فاستفروا بذلك عن الزواج، فذا نصنع بالبنات؟ هل نفتح لمن أيضاً محلات عمومية فيها « بنات » من المذكور ؟!

• • •

كلام فارغ يا بنى والله ..

وما قوله عقولهم . ولكن غرائزهم، وما يريدون إصلاح الأخلاق، ولا تقدم للمرأة، ولا نشر للدينى، ولا الروح الرياضية، ولا الحياة الجامعية، إنما هى ألقاظ يملطون بها ويتدهون كل يوم جديداً منها، يهرلون به على الناس، ويروجون به لدعوتهم، وما يريدون إلا أن نخرج لهم بناتنا وأخواننا ليستشعروا (٨ - ٢)

برؤية الظاهر والحق من أجسادهم ، ويتناولوا الحلال والحرام من اللذة بهن ،
ويصاحبونهن مفردات في الأحفار ، ويراقصونهن متجملات في الحفلات ،
وينتدع مع ذلك بعض الآباء فيضحون بأعراض بناتهم ليقبل إليهم من التمدنين « اهـ .

* * *

في ظل الإسلام يجد الشباب الرعاية والتوجيه ، فلا تبقى مشكلتهم مسألة
التجارة ، ولا عبثاً في أيدي القارعين الجاهلين بسنن الحياة ، للولميين بالتقليد ينقون
بإلا يقولون . . من الذين قال الله فيهم :

« ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن
سواء السبيل » (١) .

أبوابُ الفُصْنِ

انتهينا في الفصل السابق إلى أن تنظيم الاستجابة للفرصة على نحو ما يرمي إليه
الإسلام : هو الدواء الناجع الذي يتيح للفرد والمجتمع السعادة والاستقرار . بينما
القوضى تشقى الفرد ، وتدمر المجتمع ، وتثير الخلل في كل نواحي الحياة .

ولكن الأمر لن ينتهي بمجرد إثبات هذه الحقيقة وتوكيدها . فهما باع من
اقتناع الناس بها ، فليهم لا يستسلمون للزمام وتطبيقها إلا عندما توصل الأبواب
التي ترمى بالقوضى وتزينها .

والواقع أن في المجتمع للعاصر - منافذ مفسدة قلقه وتشقى ، وتبذر فيه
بذور فساد عريض .

فن الواضح أن بعض مصادر التوجيه والتأثير في المجتمع تتجه نحو الدعوة
إلى فوضى العلاقات وتزيينها ، على اختلاف بينها في الصراحة والتعريض .

ولن نستطيع إلزام الناس بالاتجاه نحو النظام والاستقرار في العلاقات إلا
حينما نهيه الجو الصالح الذي ييسر ذلك ويحببه ، وإلا أصبح أمراً فوق الطاقة .
لا يمكن تنفيذه أو الالتزام به . . .

ولو ترك الناس وشأنهم في مسألة الفرصة ، ولم تسلط عليهم هذه التيارات
والتفريعات . ما شرعوا بالمت أو الصراع وما ألحت للمشكلة هذا الإلحاح الذي يذهب
القوضى والاضطراب .

• • •

إن اتجاه بعض مصادر التوجيه والتأثير في المجتمع نحو الدعوة إلى القوضى
تلقية ، أو شهية الأذهان لها ، أسره خطره في ميزان الترجيح بين الدعوة إلى
الانحراف وبين الدعوة إلى النظام والاستقرار .

وهذا الاتجاه هو وليد هذا العصر ، الذى ابتلينا فيه بالاستعمار المسمى
«الغنى» .

فلم يعرف المجتمع الإسلامى ، فى عصر من عصوره ، هذا الاتجاه الخبيث ،
الذى يرغب فى الحرام وينقض الحلال ، ويوقد الفتنة فى قوس الشباب .

بل كان الاتجاه العام فى المجتمع السلم ، العمل على تنقية الجو من دهورات
الفساد ، وحوامل الفساد ، التى تصرف الجماهير عن الجدول المستقيمة والسير القويم .

ولعل فى موقف سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه من نصر بن الحجاج
الغنى الذى نهى عنه من المدينة خشية أن يصبح فتنة تهدد الأخلاق التى يراها
المجتمع الإسلامى ما يشير إلى الوعى والاتقاء الذى كان يشمل ذلك المجتمع وينص
حينه على عواقب الأمور .

لقد أهتم الإسلام بإغلاق أبواب الانحراف الخلقى ، وأهم بإقامة دعائم
الصفاء فى قوس الأفراد ، وفى أوضاع المجتمع .

فالإسلام يحرم على السلم إطلاق اللسان للنظر الباث الذى ينشأ عنه كثير
من الشرور : « قل للؤمنين يضربوا من أبصارهم » « وقل للؤمنات يضضن
من أبصارهن » .

ويوجب على النساء الأضداد من الإثارة فى الزى ، والإغراء فى المظاهر
والكلمات : « ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها » « ولا تهرجن تبرج الجاهلية
الأولى » « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض » .

ويعرم الاختلاط الباث ويناق منافذه ، ويعرم للوبيات والقواش التى
تزين القوضى وترغب فيها .

وهليس معنى ذلك أن نغنى شعب الخليفة عن المجتمع السلم فى عصوره السابقة .

فالأعراف ظاهرة إنسانية لا يخلو منها عصر ، ولكن هناك فرق بين أن
تحدث الجريمة كظهور شاذ يصيب بعض الأفراد ، وبين أن توجد كوجه عامة
يشذ عنها بعض الأفراد .

* * *

والآن . . علينا أن ننظر في أنحاء مجتمعا بصدق وعقل لنرى السارب للقيم
تتحلب بالأعراف أو تهوى الأذعان له ؟

إننا سننظر الأثر الذى تعدته في مجتمعتنا هذه للمصادر الثمانية :

الأزواء - السينما - دورالهمو - الإذاعة - الصحافة - المحدرات والسكرات -
الأدب المكشوف - الاخلاط الباث .

فهذه هي مصادر التوجيه والتأثير ذات العلاقة بمشكلة التفرزة ، وبطلهم
للجمع من ثروها يستقيم سهره ويرشد أنجابه وينصرف إلى البجد والسلم
ويألف حياة الاستقامة والتضحية .

الأزياء الفاضحة

كان لثياب عند الإنسان الأول وظيفة لاهتمامها هي ستر الجسد ووقايته مما يهدده من أخطار الظواهر الطبيعية ..

فلما ارتقت بالإنسان الحضارة وارتفع به الاجتماع ، أضاف إلى ذلك غرضاً آخر ، فصرف التجميل والتزين ، والأمانة في اللبس التي اختلفت من مجتمع لآخر .
وهذان الترضان مشروعان ، وإليهما يشير القرآن عقب الحديث عن آدم وزوجه ، بقوله :

« يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سوءاتكم ، وديكاً ولباساً التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » (١) .

ولكن المجتمع للامور لم يقع بذلك ، بل اتجه زوى المرأة إلى هدف آخر ، فجعلت سلاحاً خطيراً يصف بالأخلاق ويشير في المجتمع تياراً خطيراً من البعث والانحراف .

فلا ينكر أحد الأثر الخطير للأزياء التي تجعل من المرأة وسيلة هدم القيم المجتمعية ومشكلة تشغل عن العمل وتحويل دون الإجابة والإخلاص ..

إن هذا اللون من الأزياء أول باب يشير انحراف التفرقة ، إذ أنه يوحى بالإثم ويوجه إلى الفسوق ويولد من المجتمع ظال الغفان والاستقامة ..

إنه بسطفت نظر الرجل فيطلع إليه ، ولا يملك نفسه من ترديد النظر ، حتى يشعر بأنه نال حظه من الزينة للعروضة والجلل للبلاط .

والشباب هم أشد الناس شقاء بهذه الفتنة ، فلا يملك الشاب أن يشعر بشيء من الاستقرار أمام هذا التيار الشديد . إنه لا يستطيع ملاحقة مواكب الحسان القاذرات الكاشفات عن الجسد ، يصره فضلا عما تطالبه به التريزة بما وراء ذلك .
فإذا فعل الشاب أمام هذا التيار العنيف . .

إن ذلك يرهق الأعصاب ويشق النفس ويصرف عن الجدد والقلائق . .
والحق أن للجمع إذا ظهر من هذا اللون من الإغراء . . هبطت فيه موجة الجرمية وهذا تيار الانحراف .

ولكن أمن للجمع وسلامة اتجاهه ليس في حساب من يصلون على انتشاره هذه الموجة من التقليد المدمر ، وعلى انقضاء آثار الشذوذ في كل مجتمع . .
من الذي يجترع هذه الأزياء ؟

إنهم حفنة من التجار ، أكثرهم من اليهود ، من الذين يريدون أن تهم القومى كل الأعيان ، وأن يجتثوا أصول الأخلاق من المجتمعات ، لتتخل وتنبدد قواها ويسهل استلاك زمامها . .

إن أولئك يصدرون عن عقائد غير عقائدين وأخلاق غير أخلاقنا . .
وإنهم ليطلبون من الإنسان صورة غير مارسه لنا ديننا وحده لنا تراثنا وتاريخنا . .

إن إسلامنا يأتي علينا الاقتياد وراء هذا التيار العابت ، وإن عروبنا لتحول بيننا وبين التردى في هذه الحماة الآسنة . .

وإن الإنسانية لتسمو بالإنسان فوق هذا المستوى المتغير الذى يهدد كرامة الإنسان . .

وإن الأمر ليس هينا كما يحاول المجادلون بالباطل أن يقرروه ، وليس شكلا لا يدل على شيء وراءه . .

بل إنه مظهر يكشف عن مخبر ، ورمز يوحى بما وراءه من حقيقة ، ويكشف عن ضياع الأصالة ونهب روح الحضارة العربية فى النفوس . .
إنها مشكلة حضارة وتقاليد . .

إن شعور التهمة النفسية والاستمرار الاجتماعى ، والخضوع والإحساس بالنقص هو الذى يحمل النساء فى مجتمعاتنا على اتباع تيار الأزياء الفاضحة التى تستهدف التفتنة والإغراء . وهو أيضا الذى يجذب إلى بعض الناس عندما الدعوة إلى تصحيح هذه الأزياء باسم الرقى والتحضّر ، بل إلى المطالبة بتحريم الأزياء المستقرة البعيدة عن الإغراء .

ولو كان هناك نوع من الأصالة الاجتماعية والتمسك بالحضارة العربية لما انجبه هؤلاء هذا الاتجاه العجيب . . إذ أن الزى أولا مظهر قوى متوارث وأمامنا شعوب كثيرة ما زالت تمسك بأزيائها مهما بلغت من التقيّد ، وما زالت تحافظ على زينا العتيق .

فكيف ترضى المرأة العربية بالامقياد وراء ذلك التيار الذى يسلبها خصائصها ويمحيطها إلى مستح شائه يندفع إلى التقليد ويجرى خلف كل جديد .

وهى التى عاشت قرونا متطاولة وفق أخلاقها المتينة وأصالتها الواضحة .

وبما جسم الخطر أن تيار الصبب بالأزياء لا يقف عند حد ، بل إنه يولع بكل غريب ويبتغى إلى كل ما يلتفت الأنظار ويثير العجب . .

لقد قننت الأرياء في إرراز القننة والإغراء بالانحراف فلم تدع لتلك وسيلة
إلا اتجهت إليها مهما بلغت معيية ، ومهما انتهت كرامة الإنسان وأحاطته إلى سلمة
أقل من الحيوان .

وليس لهذا البت منطق أو عقل ، وإنما هو تقليد يسرى في المجتمع كالداء ،
لا يوضع موضع النظر والتفكير .

وقد كان هذا لوثاً من ألوان التجارة بالجسد ، التي اتجهت إليها النساء في المجتمع
الترقي حينما ضاق بهن الحال واتجهن إلى كسب القوت ، فزأبن أن عرض الجسد
بهذه الصورة يفتح الأبواب للثقة ، ويسهل للمالك الصعبة ، ويدبر لريح الوفير ،
فالرأة الأوربية لا تستكف عن شيء يجلب لها المال ، ولو كان منافياً للتقاليد أو
الأخلاق . فالإكارة بالملابس - في نظرها - لون مشوق وطريف يضمن لها أينما
سارت الاهتمام ، ويجمع حولها الراقبين والمطالبين .

وهو تفكير مادي لا يستحق للتأني وسلوك لا يستأهل الاحترام .

يقول الأستاذ مالك بن نبي :

« كانت المرأة الأوربية إلى عهد قريب تلبس اللباس العليل تستر به مع
أنوثها سرها للسكرتوم حتى أخصص قدمها ، وتخذ من حيثها حاجزاً يمتنع من
التردى في الرذيلة ، فكانت بردائها هذا خير مثل لفرقة والأدب في المجتمع ، إذ
كانت السيدة الجديرة بالاحترام : الزوجة الصالحة التي تسمح بيديها الرقيقتين عن
خمس الزوج متاعب العمل .

غير أنها أصبحت اليوم تلبس اللباس اللعين الذي لا يكشف عن معنى
الأثورة بل عن عورة الأثى ، فهو يؤكد للنفس الجسدى الذي يجمعك به مجتمع

ساده الترام . كلمة العاجلة (١) .

• • •

وكل حين تظهر ألوان من الأزياء تحدث ضجة مقبلة وأحداث لاخية .

فإذا بدا لأحد من شياطين الأزياء أن يثير الفوضى اخترع زياً عجيباً يتفاهه .
النساء للقلدات بالخضوع والإجلال ، وسرعان ما ينزوكل مكان ويظهر في كل .
مجتمع . . .

ويبدأ الناشون في الحديث عنه وثرارة الاهتمام حوله ، وتصل الساعة إلى حد .
سؤال علماء الدين وأساتذة الجامعات عن هذا المخترع الجديد وما يخلق به . . .
وهو لون من ألوان اللهو الخفيف يضع جهود الأمة بنير جدوى ، وينشر في .
المجتمع للصغار والانحراف !

وهذه لأزياء أسفر من أن يثار حولها حديث أو يشغل بها ذهن . . . إنها .
جميعاً أزياء تجارة . . . تجارة بالتمتعة واكتساب عن طريقها ، سواء كان كسب .
مال أو كسب إعجاب وإعجاب . وليس للعفاف والفضيلة والجد إلا زى واحد ، .
تعرفه كل مسلمة تنزه نفسها عن عرض الجسد أو إثارة الاهتمام عن طريقه . وهو .
الزى الذى لا يتكلف إظهار مالا ضرورة لإظهاره من الزينة ، والذى لا يهدف إلى .
إشغال الفتنة وإثارة التريزة وذلك الذى أمر الله به حين قال في كتابه :

« وَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يُحْصِنُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَعْيُنُهُمْ كَالَّذِينَ حُمِئُوا ، لَا يَرَوْنَ شَيْئاً وَلَا يَذْكُرُونَ » (٢) .

(١) شروط النهضة ص ١٨٠

(٢) سورة النور آية ٣١ . والمخرج محار وهو ما استتر به المرأة رأسها وتغزله .

وهذا النظام الإلهي من الأهمية بقدر كبير ، فإن الأزياء الفاضلة والتي تحمل
 طابع الإثارة ذات أثر واضح في توجيه الرجال إلى الإنهم وإغرائهم بألوان من القسوق
 . وكذلك في انسلاخ المرأة من مبادئ العفاف والشرف وإيقاظ نداء التفرقة تمويهاً
 . ملأ في أرجاء المجتمع مما يحدث كثيراً من اللأسي والأحداث ولكن الحضارة
 الحديثة جعلت من مسألة الأزياء مسألة خطيرة في وجه الأخلاق والنبل وجعلت
 من جسد المرأة شيئاً شديداً ، كل هذا أن تسقط إليه الأنظار وتفتن في المواقف
 التي تصفها منه .

والمرأة للدمارة طائفة ذليلة لكل ما يختاره لها العايشون ، وقد وفر في أذهان
 النساء أن التخلف عن هذه الأزياء « المالية » كما يصفونها انقطاع عن الحضارة
 وتأخر عن موصكب للدين والتقدم .

ولكن كانت المرأة الأوربية أو الأمريكية لا ترى بأساً في اتباع هذا التيار
 . الجارف من فوضى الأزياء ، فإن المرأة للسلة لا بد أن ترى في هذا التيار بأساً وأى
 . بأس !

إنها مطالبة أن تحيا في حدود أخلاقها ومبادئها ، وأن تحافظ على امتعة المجتمع
 . وطوائفته ، ولا تقدر جعلت مبادئ الإسلام تجاهها ونكصت عز رسالتها
 . الاجتماعية التي أرادها لها .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لم
 . الخيرة من أمرهم » (١) .

والإسلام يرى أن معنى المرأة لإثارة الفتنة عن طريق الزينة والتبرج موقف

من مواقف الجاهلية لا ينبغي للجمع الإسلامي أن يتردى فيه . فهو لا يفتق مع
إنجاءه وخلقه ، وهذا التبرج ليس إبداعاً ولا تقدماً ولكنه تأخر وفساد .

« وقرن في بيوتكن ولا تخرجن تبرج الجاهلية الأولى (١) » .

ومن العجيب أن نخدم المرأة المسلمة للعاصرة عن هذه الحقيقة ، أو أن ترى
في دينها تأخراً وجوداً ، وترى في موقف الحضارة المادية تقدماً ورفقاً .

ولكن الذين آمنوا بحضارة الغرب وكفروا بمبادئ الإسلام يسلمون على
إتباع المرأة المسلمة أن تواصل السير في ركب الحضارة الغربية الشكلية ، وأن
تجمل من جسدها شيئاً مهيناً ، تهلى منه ما يشاءون وتستر ما يشاءون .

ويصل الأمر إلى أزمة شديدة وتناقض في باطن المرأة المسلمة التي تحس بالصراع
بين ما يوجب عليها دينها من تستر واحتشام ، وبين ما تفرضه عليها تيارات المدنية
المتفجرة .

وبحاول البعض أن يهون من الأمر وأن يجادل بالباطل فيزعمون أن للدول على
الخلق والاستقامة وأن الزنى شكل لا يعل مشكلة خلقية .

والحق أن هذا خداع وإنكار للحقيقة ، فإن الأزياء الفاضحة التي فتت بها
النساء في عصرنا باب خطير من أبواب القوض الخلقية ، وأن لها إبعاداً سيئة
وتأثيرها الخطير في كثير من المجالات .

وإتأثرى أن إتباع المرأة المسلمة بموقف دينها وفكره في هذا الجانب ،
أول خطوة يجب علينا أن نخطوها حتى تعود المرأة المسلمة إلى اعتزلتها بديها .
وخلفها وتغنى بنفسها عن تيار التقايد والموان .

إن الإسلام حين وضع لتساء ضوابط الاحتشام والتستر ، لم يبيح إلا حفظ الإنسانية للمرأة وصون كرامتها عن الهرج والإسفاف .

والجيب أن بعض النساء المؤمنات بموقف دينهن وأخلاقهن لا يملكن من الشجاعة ما يستعلن به بالتستر والاحتشام . فيجرهن التيار خشية الظهور بمظهر الرجعية والنكوص ..

إن تيار التقليد والتأبئة سهل سير ، ولكن وقف الحفاظ ولاعتداد بالكرامة الإنسانية يحتاج إلى عقيدة قوية وشجاعة خلقية ..

ولكنك تسمع هذه النغمة في كل مجمع ..

إن الحفاظ ، مستحيل والاحتشام ليس في القدر . وغير ذلك ، بما يوحى بأن التيار قد جرف النفوس وأصاب الزأثم بالجز والتسليم ..

فهل يدري هؤلاء أن موجة تقليد الأزياء الترية يمكن أن تنحسر إذا شاع في المجتمع طابع الأمة المضاربة والثقة بالتضاليد الفاضلة والتاريخ المتيد ..

إنها محدوى اجتماعية .. فإذا استطاع أهل الإيمان الصمود في المعوة إلى التستر والصون ، فإن موجة التمتع والانحراف ستبهن ويقلص ظلها الخفيف . إننا ندمو إلى القدوة السلية ، وإلى إقامة « بيوت أزياء إسلامية » لتحديد لتساء الإسلام ، أزياءهن في شتى المجالات ، فالمرأة للسلة لا بد أن تتميز بثقافتها واستقامتها وقيامها بواجبها ، إنسانة نبيلة ، لا أذى تشيع في المجتمع الفتنة والوبال .

وتستطيع بيوت الأزياء هذه أن ترسم زى الطالبات بما ينسق وروح العلم والجد ، وزى العاملات اللاتي تضطرن للظروف للكسب ، وزى المجتمعات العامة ، وغير ذلك من مواقف المرأة في المجتمع ..

وهذا حل عملي لكثير من المشكلات ، بقي المجتمع شر الصراع والتناقض ،

ولا يحمل هذا لمن يخشون مخالفة الإجماع والخروج عن الألف ، فإذا أصبح لكل طائفة من النساء في المجتمع الإسلامي ، سمت يتميز به ، تخلص المجتمع مما يمانيه من تمكك وتنازع ، واستقامت المرأة للسلطة على طريق دينها ومبادئه ..

قد أحس الكثيرون في مجتمعاتنا بفتح الآثار التي تسببها الأرياء العائنة التي انتشرت بين نساتنا ، فطالبوا بإصلاح عاجل وتدارك سريع . . نادى بذلك نساء فاضلات رفضن أصواتهن بالإنكار والاستهجان .

والأسرى في الحقيقة يقتصر إلى اهتمام الجميع ، وخاصة من يملكون سلطة التوجيه والتغيير . .

وليت للجمع ينتهى إلى تحديد لباس قوى للمرأة في مجتمعاتنا يناسب مبادئنا ، ويحفظ للمرأة العربية بصيحتها الأصيلة .

وليت الأمر ينتهى عن هذا الحد ، قبل أن تمضى النساء عندنا إلى آخر الشوط خلف الأرياء التي لا عقل لها ولا ضمير . .

وقبل أن يسرى التيار إلى أتعاء مجتمعاتنا التي لم تصل إليها تلك اللوحة المادية من البحث والانحلال .

• • •

إن الأرياء الفاضحة حدوان على عفاف الإنسان ، وإعانت له ، وإرهاق لمشاعره وإفراء له باتباع الهوى والانحراف عن طريق الإيمان . .

إنها ظلام يبدد نور الاضطمام ويث في الحياة الخلل والاضطراب ، ويشير إلى الناس نوازع الفساد والاعوجاج ، ومن أجل هذا شبه الرسول صلوات الله عليه للمرأة الفرجة بالظلمة التي لا نور فيها في قوله :

« مثل الزينة في الزينة في غير أهلها ، كتل ظلمة يوم القيامة
لا نور لها » (١) ١

وإن أساس الخطيئة نظرة تحركها القنعة التي توقف الفرزة وتبهر الانتباه...
فهل أقداساً دون ذلك السيل الذي يوشك أن يقتلع جنود الغاف
والحياء . .

وهلا أرحنا شبابنا من إلحاح الأجساد المارية والمفاتيح البارزة ، التي تستهدف
الهدم ولا تعرف البناء ١٢

إنها مسئولية كل راع وأمانة كل وجه ، وإن إسقاط المسئولية على الآخرين
لا يفي من حساب الله ، ولا يبرى من لثم التفريط وخيانة مبادئ المجتمع
الإسلامي وهدم مثله وقيمه التي ينبغي أن تسود . .

السِّينَا العَائِثَة

لا يستطيع أحد أن يتجاهل تأثير « السينا » كوسيلة من وسائل التوجيه والترويج ..

إنها اختراع بالغ الأهمية في حياة المجتمع المعاصر ، يلقي للبلاء ويوجه السلوك ، وينقل للظاهر والمبادئ والتقاليد من حال لحال ...

وتختلف مواقف المجتمعات من هذه الوسيلة الخطيرة من وسائل التأثير ، فمنهم من يحددها إطاراً لا تتعداه ، ويحيطها في خدمة مبادئ المجتمع ويلزمها رعاية أهدانه ..

ومنهم من يطلق لها العنان ، ويحيطها جانباً من جوانب التجارة والكسب ، وينقل عن آثارها للدمار حين تنحصر إلى استيلاء الأهواء وتشد تحقيق الرغبات من السبل للموجة ولا تولى بما يصيب المجتمع من عناء ..

وقد كانت نشأة هذا الفن في مجتمعاتنا صدى لانتباهه في المجتمع الغربي الذي كانت له السيطرة على مواردها ومصارفها في ذلك الزمان ..

وكان الأوائل الذين قاموا على هذا الفن في بلادنا من الذين غلبت عليهم أفكار التقليد وانجذبات الحاككة دون وعي أو اختيار ..

وما زال البناء يكتمل حتى انتهى الأمر بالسينا في بلادنا إلى أن أصبحت ترقى في مشاهد الفتنة وتميش في أجواء الجريمة ، لأم لها في الأقطاب إلا اجتذاب العامة والدماء واتخاذهم من غرائزهم ، ليحقق لتجار هذا الفن ما ينشدون من منعة وثراء .

إن الحقيقة الماثلة أن ذلك الفن عندا تجارة : لا رسالة لها ولا هدف ، وأى تجارة يمكن أن ترح وتلقى الراج مثل التجارة يثارة التراز وخداع مشاعر الشباب واللب بقولهم ..

فأجبت السينا إلى تجارة الجنس على نطاق واسع ، في موضوعات مكررة يشبه بعضها بعضاً بلا روح ولا فكرة .

ليس أمام الكاتبتين أو اللغتين إلا موضوع الحب والعلة بين الرجال والنساء .
وليس في قضايا المجتمع ومشكلاته ما يستوجب الاهتمام .

أليس في مجتمعا موضوع غير الجنس ، ولا في حياتنا مظهر غير الوجة والتزام ؟

إن عاطفة الحب الصادق معنى إنسانى شفاف ، يستطيع التناول الكريم أن يبر عنه في طلاقة ووحى ، هادفا نحو البناء النفسى الذى ينشئ فى الناس عواطف الطهر ومشاعر للودة والحنان .

ولكن هؤلاء لا يفهمون من الحب إلا معنى رغبة التريزة ، والاحتيل فى صيلها ..

وقى سيل هذا نفاق القصة مبعثرة مفتحة ويصنع التمثيل تافها يهدف لفتنة والإغراء ، وتُكسكف للشاهد التبيحة التى ترضى النفوس للريضة ويُقنعم البناء التفسر الماقت فى معناه وأدائه ..

وذلك عدوان على المجتمع كله ، وجناية على خلقه ومنه ، وتشويه لمنى الحب وهبوط بطلوه ، وإشغال قرائز واتباع الشهوات .

لأنه غذاء مسموم ، يؤذى الجماهير الحاشدة التى تجنبها دور السينما صباح مساء ، ويدفعها إلى القوضى الخلقية وغريها بالقاشحة ، ويزودها بمشاعر السوء .

وهو كذلك إحتلت لشباب القى يقع في المخرج قبل هذا الإلماح الفصل
وهذه المشاهدة الخبيثة فيظل مضطرب الأعصاب شق النفس، أو يلجأ إلى مايزيده
بشقاء فوق شقاء .

وقد يبلغ الأمر به إلى الشذوذ الشيف القى يتقدمه كل عاطفة ووعى !
والفتاة كذلك يصيبها من الضرر ما يصيب القى وقد يجدها ما تراه في
مشاهد الخلية من الحقائق والبادئ ، وقد يسهل لها طريق الانحراف عن
جادة الطريق..

فإذا علمنا أن مشاهدة الخلية قد أصبح علائقياً في برنامج الحياة للشبان
حوالائهم ، علمنا لماذا يشتد الانحراف ويكثر السقوط في شق الأنحاء ..

بل إن الأزواج والزوجات ، ليصيبهم ضرر السينا للتير بما يصور لهم فوضى
العلاقات في صورة محبة ، تتيح للتاع للتير والشباب العام ، في ظل النزوات
الجماعية والأهواء التبعة .

فأى جناية يجنيها ذلك الفن حين يجه إلى الإغراء ؟؟

بل إن هذا الفن قد أحدث لونا خاصاً من ألوان البطوة المنميلة ، وهو
جولة الإغراء . وكفى ذلك دلالة على انجذابه وبعثاً لمسلكه تجاه التريزة ..

والإغراء جانب حدم لا جانب بناء ، يقوم به بعض اللاتي وجدن في
أجسادهن ثروة لا تفقد تتيح لمن للتاع والقرء .

إن إغراء السينا إغراء خبيث ، يهدف إلى إطلاق الترائز من عقلمها ،
حولا يقدم حلا ، ولكنه يترك للسالكين للشاهدين نهبا للضياع ..

ولا يقتصر شر أولئك الترائز على مجال التمثيل . بل يهدى ذلك إلى التأثير
في الحياة العامة ، حين يصرن قدوة للنساء ، يقلنهن في الزى والسمت والكلام .

وهذا يحولن إلى مثل « أدنى » شتى الفتنة في كل مكان ، .. ويملأن الأعداء .
بالفزول والصلال من الضوابط وللثل ..

إن السينا بهذا للسلك الهدام ، تنجر باباً ضحكاً من أبواب القوضى الخلقية .
يما تقوم به من إثارة وفتنة .

وهى من جهة أخرى باب قوضى خبيثة تهز المجتمع وتشقيه .

فقد أن رأت التفتين والتفتيات ما يحيط بالمثلث والمثلثات من ترف وزينة .
وبريق ، انجبت الأبصار إلى الوصول إلى تلك للسكاة بأى طريق . ولو بالتضحية .
بكل شئ ، في سبيل الشهرة والمجد والظام !

وأصبح السبل في هذا السبيل أمنية يطالع إليها الكثيرون بلا استنكاف .
حما يستلزمه هذا السبل من نهاون وتريط ..

كما أصبح هذا الطلب وسيلة لاختيال الشرف والمغاف ، وخداع النشء .
الجديد بالأمانى للسولة وللأل الوفير ..

وذلك عدم لبناء الأخلاق في المجتمع ، وانصراف عن الجدد والشرف إلى .
مناهل الزيف والخداع .

. . .

إن صفة السينا في بلادنا بالدعوة إلى القوضى الخلقية لا تفكر ، وما تزال .
تقوم بهذا الدور يلالح عجيب ..

وقد تكون هى للسولة حاسدا الأسرة من تهكك واضطراب ، وملا .
أصاب للشباب من انحراف وشذوذ .

ومعظم الخطر مع موجة النزو الأجنبي لهذا الجانب من جوانب التوجيه .
ومع اندفاع اللالين وراء ألوان الفتنة والإغراء التي تموج بها تلك للناظر .

وإن علينا أن نحف دون هذا السيل الهام ، وأن نصون شبابنا من ورائه ،
نقلا قدم له إلا ما يرعى قيسنا ولأخلاقنا ، وما يثبت دعائم الإيمان والخير في القلوب ،
وإن رسم النجى للسقيم لهذا الفن .

فرى فيها تصوراً لطايف مشرق ، وتعبيراً عن حاضر يمتلئ بالأمل في
مستقبل كريم ، تنأى فيه عن ألوان الخزي والهوان الذى يصوره شرذمة من
المتحجرات الأشرار ..

إننا بحاجة إلى الفن الهادف الجميل الذى يصور معنى الإنسانية وأشواق
الإنسان ، لا غرائز الحيوانية ومطالب الحيوان ..

المَوَاحِيزُ

شاعت في البلاد الإسلامية في هذا العصر دور اللهو ، ورسخت أقدامها في السواصح والمدن .

وفي القاهرة وحدها عشرات من هذه الدور ، واسعة القدرة والنفوذ ..

ويختلف إلى تلك الدور الآلاف من الرجال والنساء فصل عملها في توهين رباط الحياء والخفاف في النفوس وتصيبهم بأدواء خبيثة تدوقهم إلى سُبل هوجاء ومتاعبات مُردية ..

إنها ساحات للانطلاق من كل قيد ، ومجاورة كل حد ينشأها طلاب اللصحة الحرام ، ممن يستغفون عن الأنظار ، ويتحصنون الأسوار .

وهي مدوى أصابتنا من جرائم التقليد الجاهل للحضارة الغربية ، أو رؤية قشورها دون جوهرها ، وهي دلالة على هوان الوقت وضياح قيمة الحياة ..

والإلا .. فامعنى أن يبدد الإنسان وقته وماله في سبيل الاطلاع على السورات - ولارتكاب الآثام التي لا تستقيم معها أولى أو أخرى ..

وهذه الدور باب واسع لقوضى الترفية .

فهي بيئة آمنة تنمو فيها جرائم الخطيئة وتصدد ألوانها ..

وفي مشاهدنا المنيرة يفتقد الإنسان زمامه ويقنق عن أمر - به ويطمح إلى الحرام حين يرى الوجوه المخطئة ، والأجساد المفلوطة ، والمقائن المروضة .

وفي ظلال المسكرات والخدرات تهضح الأبواب الملققة ، وتوقظ القنن النائمة -

وينصرف الناس من الجدد والاستقامة إلى ألوان النزوات واللهو المخبئ .

وفي المملكات المنقرعة التي تبت جذورها في هذه البيئة تهديم أسر ، وتقوض بيوت ، وتذوى أزهار ناضرة للاستقامة والصلاح ..

ولا يفت خطر هذه الأمور عند هذا الحد ، بل إنها تمتد بيد الفساد إلى كثير من الناس اللأئي تنزلق أقدامهن إلى هذه الهاوية ، استجابة لإغراء الليل واللحاح ، واختيارا للطريق لليسور الثراء وبخا عن الشهرة والنفوذ !

• • •

وما من حاجة تحمل الإنسان السوء على غشيان تلك الأمور وأكثر القامعين إليها من أصحاب علاقات السر ، ممن يجدون فيها الجوى لللائم لا يبحثون عنه .

والقرود السوء لا يحس بحاجة ما تدفعه إلى هذا اللبث الضعيف . ولكنها تجارة بالأعراض يروج لها من يهدفون للكسب ، ومن يريدون تلوين المجتمع السلم وإشاعة القوض فيه .

إن أولئك يحملون من مرض اللاتن وسية لا يتزلز الأمول ، وهي وسية دينية لاتبعد كثيرا عن البناء ، وهي كذلك هدم لكل ما تزعم الحضارة الغربية أنها رعاها المرأة ، فأى كرامة وأى إنسانية وأى مساواة في أن حصول المرأة إلى مخلوق صليب ، كل همه أن يثير السرور وأن يجلب المصدا ، لقاء أجر معلوم ..

وأى فرق بين هذا المسلك وبين نخاسة الرقيق التي طالما شنع عليها الشعوب بل إن نظام الجوارى كان يحفظ آخمية الجارية . فيجلبها لسيد واحد ، لها قبله حقوق مشروعة .

أما هذه التجارة فإنها تجعل المرأة سلعة مبروضة لكل قادر ، يلاحق ولا كرامة - إنها سوق خادعة لاتطلى المشتري شيئا . ولكنها تستثير فيهم السكوان ثم تدفعهم في حيرة وحرمان .

وتلك جناية على الشفاف ، وعلى الأسرة وجوها للتنظيف الطاهر ..

إن ما يفتقه الرجل في هذه الدور في أيام مطودة قد يكفيه ليبنى أسرة
ويسكن إلى زوجة ويأوى إلى ظل من الطمأنينة والحنان ..

فكيف نداء أولئك البطلين يمارسون في مجتمعا هذا اللهم الخبيث ..

إن الإسلام لا يعترف بلون من اللهو إلا رياضة البدن ، أو الهوايات الخافضة ،
أو السمر الشرع ، وفي ذلك يقول الرسول صلوات الله عليه :

« كل ما يابو به الرجل المسلم باطل ، إلا رميه بقوسه ، وتأديه فرسه ، وملاجه
أهله ، فإنه من الحق » (١) .

فإياك بهذا اللهو المدمر الذي يقضى على جذور الحياء والحناف ، ويصرف
عن الإخلاص والجدّ ويحيل الإنسان إلى حيوان حقير ..

• • •

وأحياء تلجأ دور اللهو إلى طريقة خبيثة تستلقت بها الأنتظار وتستكثر الزواد ،
فهي - بزعمها - مسابقات الجبال والقفزة ، بين نساء شبه عاريات يمرضن
أجسادهن على قعر من الرجال ! فيختارون من بينهن البارعات القاتنات ..

وتتعدد تلك المسابقات في مواسم ومناسبات شتى ..

وهو أيضا تقليد أعمى لا يحدث في بعض البيئات الأوربية ..

ويشم الإنسان من الجو الذي تجرى فيه هذه المسابقات روائح خبيثة لا طهر
فيها ولا طيب .

وما أشبهها بأسواق الرقيق التي تمرض فيها الأجسام كالسوام ، غير أن تلك
تجارة من حقها عرض السلعة على الأنتظار .

وإن وراء ذلك ما يستتجه النبال ويؤيده الواقع ، مما يجر بابا لقوضى تهدد
الأخلاق والعفاف . . .

إن بقاء دور اللهو أمر شاذ في مجتمع إسلامي ..
فإننا في حاجة إلى الجسد والسبل لا إلى اللهو والتفاسد .
وهذه الدور مخاض للأرواح التي تهدد أمتنا بخطر حقيق ، يوهن قواها
ويفسد طاقتها .

فقيمها ينشأ الصومس والسفاكون ، والخنوة الذين لا يقرون بدين ولا حق
ولا وطن .

وفيهما تسيل أنهار الأموال في جيوب خفة من الثراء والأفانين العاطلين .
ولئن كان الترف بمغازيه ومدته وفوضاه في حاجة إلى تلك الملاهي ، فلسنا في
حاجة إليها .

لسنا في حاجة إلى رقص شرقي أو غربي .. فكلامها باطل وضلال ..
ولا نستطيع أن نقتنع — مهما قيل — بأن الرقص فن وعلم ولزق ، فالساعة
ذات علاقة وثيقة بالترزية ، مهما جادل المبطلون ! !

والرجل لا يستطيع أن يسو بظنه في امرأة عارية تثنى وتتكسر أمام الجماهير
غيرها بريئة طاهرة ، وبمض عينه عن الحركات الرية والجسد المكشوف ..
وقد يرى البعض أن هذا تمكيد رجبي يصدر عن مقاييس غائبة
فليسوء ما يشاءون . . لكننا لا نستطيع تجاهل الحقائق ، أو النخلة عن الواقع
الشاهد الذي يكذب ما يقولون .

لقد آن الأوان الذي تعلق فيه هذا الباب للتفحوس للانحراف الخلق في
مجمعنا ، حتى تنق أضراره وتدفع أخطاره ، وتقيم لشبابنا نشأة الصالحة
والجوة الطهور .

مَسْئُولِيَّةُ الْإِذَاعَةِ

أصبح للإذاعة بتوجيها للرثى وللسموع دور خطير في التوجيه والتنشيف .
وأصبحت أداة فعالة للدعوة والإقناع والتحصين والتضييق .

وقد كان المرجو أن تصبح الإذاعة في الأقطار الإسلامية أداة طيبة تفرح
على تثبيت مقومات الوجود الإسلامى وتبلغ رسالة الإسلام الخلقية والاجتماعية ،
وتتأى عن تيار القساد والمدم الذى يشيع فى المجتمعات السادية التى لا تؤمن بالله
ولا ترجو لقاءه .

ولكن للأسف أن كثيراً من الإذاعات العربية التى كانت تترجى لدورها
الخطير فى نصرته الإسلام وبث ضيائه فى العالمين ، أصبحت وسيلة من وسائل
التسلل من أخلاق الإسلام ، وابتعدت عن مبادئه ومثله ، فأضاعت أوسع
جوانبها وهو العابد ووقت ساعاتها الطويلة على الأغاني للتكسرة ذات الكلمات
للوحية بالإيم الفاسدة إلى الخلطية صراحة وبلا استحياء .

وتصور أن بعض هذه الإذاعات تبث البرامج الدينية ٨ / من بين ساعاتها
فى الأسبوع بينما تخصص ستين فى الساعة من ساعاتها لبرامج الترفيه !

وهذا يصور طغيان جانب البهوى على جانب الجسد والمجاهدة .. وقد يتسلل
بعض الناس بحاجة الإنسان فى هذا العصر إلى الترفيه الذى يذهب عنه الكدح
ومحنت قسوة الحياة ..

ليكن .. فليس ذلك موضوع بحثنا الآن ، ولكن الذى يهمنا بانه هو صلة:
هذا الترفيه للبالغ فيه بالدعوة إلى فوضى التفرقة أو تهمة السلوك لذلك .

فليس التناء محظوراً في ذاته ، بل هو في مناسباته للشرعة حين يسو مناه
ويجمل أداؤه ، ويغزه من الباطل ، دواء ناجع وزاد لطيف . ولكنه حين ينف
نقله ويسقط أداؤه ويستخف إيموه ، يكون هذا مسموما يفسد للشاعر
وظف الأذواق .

وهذا هو ما بين أيدينا مما تموج به الإذاعات وتضيق به الأوقات .
إن أكبر جانب اتجه إليه التناء للعاصر هو الجانب اللطفي الذي يصور
العلاقة بين الرجل والمرأة .

وهو غرض قديم اتجه إليه الشعر العربي من قديم ، وامتدأ بصورة التزاحمة
من الوصل والمهج ، والنشوة والحزن ، والابتهاج والوعدة . وقد كان هذا الجانب
أضخم الجوانب في شعرنا العربي سواء كان غزلاً تقليدياً أم صادراً عن عاطفة
وإحساس .

وقد تنوع هذا الشعر من المولود إلى الإصناف ، ومن الجمال والشفافية إلى
السكندرية والظلمة . وكانت مجالس التناء في الماضي تتناول هذه الأشعار وتنتهي
منها ما تشاء وتحيل إلى الخان وأقام .

ولكن التناء القديم لم يهبط إلى درك أغانينا الآن سواء في القبط أو طريقة
الأداء ، كما كانت مجالس التناء في الماضي ، ليس لما من التأثير العام
ما الإذاعة اليوم حين تبتدىء في الأغاني وتعيد حتى تستقر في الأذنان وتحفظ على
كل لسان .

والحق أن الإذاعات في مجيئنا العربي قد أصبحت أداة طيبة في يد السينما
العابثة التي أشرنا قبل إلى أذاها وإفسادها للأخلاق إضناء الكسب الرخيص
والإذاعات تسد فرائعها بالادمة المينة من أغاني السينما التي تؤذى الناس من يلحسها

«تسبي» وهبوطها القاجر . والتي تمتلئ بالأغاظا للاستكرهة ، والألمان الفنزقة ،
والأداء ، الماث ..

وهذه الأغاني متعلقة بمشاهد معينة في الأفلام لا تفهم إلا بمعرفة صلتها بها ..
بحقن الخطأ تقديمها منفصلة عنها ، ففهم أى فهم وتدخل في كل مجال . ا
ومن الواضح فى أكثر الأغاني التى ترددها الإذاعة اعتقادها إلى السمكيات ،
واللحنين المناضج والأداء ، السليم .

فؤلف الأغنية لا يكتبها استجابة لهالطة ، أو صدوراً عن فكرة ، أو تعبيراً
عن شعور . بل يكلف أن يكتب أغنية فيها كذا وكذا مما يقتضيه ، فيكتب كما
يريدون .. ليس فيها من الفن أو الأدب شيء .

واللحن أيضاً يستجيب للموقف ، فيلحن الأغنية كي تؤدي دورها المطلوب .
وللنية أو للنسب كذلك فى نفس الطريق .

فن قل إن هذا طرب أو فن أو غناء؟ وهو لا يستهدف إلا الإنارة والإغراء

* * *

إن الأغاني العابثة تعتبر عاملاً يساعد على تهينة الأذهان لقوضى والخطيئة .
وما أدق تسيير بعض علماء الإسلام القدامى عن التناء للتيير بقوله :

« إله رقية الزنا » .

ونحن نرى الشباب فى مجتمعاتنا يسير فى الطرقات يترنم بتقلمع الأغاني ويناقى
جها على أسماء الفتيات ، دعوة ونداء ، وبعد ذلك وسية ليمير عما يشاء ..

والفتيات أيضاً يجدن فى تلك الأغاني الميرة عن مائى الاطلاق بلا هدف
ولا حد ، وسية للتصوير عن خطرات النفس ونوزع الشيطان ..

أضف إلى ذلك أن سمع الأغنية المألجة يوحى بالإيم ، ويوظف القصة ويزين
الخطبة ويدفع إلى القصاد . ولذلك حرمها الإسلام .

ويكفى أن نستمع إلى برامج الأغاني التي تلجى رغبات للستمين ، نرى أى
الأغاني تترى القعيان والقنات ، وفي بعض الأغاني المنصحة دعوة صريحة لقوض
الخلق تحت اسم العاطفة والحب .

ولسنا ندري لماذا يصاد ذلك التناء ويشغل به الوقت ، بينما هو لا يفيد خيراً
ولا يهدف إلى شئ !

والأمر بحاجة إلى تنقية وتطهير ، فلا بد من صون الأسماع عن الأغاني الرذيلة .
الأغاني المستبعدة الأداء ، التي تنجس نحو الإثارة والإغراء .

ولا يحول دون ذلك أن تكون الجماهير قد تعلقت بهذه الأغاني وألفت
سماعها ، فذلك من تأثير الجرائم التي تحملها فذهب الألب — اب ونسى من
الصواب .

. . .

ولا يفوتنا هنا الحديث عن الإذاعة الرثية « التلفزيون » وإن كان حديث
النشأة قريب العهد ، وقد كنا نأمل أن تكون برامج تلك الإذاعة شيئاً جديداً
بيداً عن الأجواء التي صنمها العاطفون العائرون . ولكن سرعان ما اندمجت في
التيار السائر دون أن تخط لنفسها مجرى جديداً في توجيه المجتمع .

وسرعان ما ظهرت فيه الرقصات العارية ، والبرامج المنذعة من الواخير
وعروض الأزواء القاضية ، وتوجيهات الخطبة والانطلاق .

قد عجبنا كيف تسرب هذا كله إلى تلك الأدلة ، وكيف اصطاع هذه
الانجاء السيطرة عليها ؟

إن الحتم أن تكون الإذاعة للرئية في كل بلد مسلم ، حاملاً إيجابياً في بناء المجتمع وقيادته نحو الأهداف التي تدبى لأمة تؤمن بالله ورسوله وتتخذ في الحياة مسيلاً يرضاه الإسلام .

وللى جوار التسلية يجب أن تكون الثقافة والإرشاد ..

فهل يفتق هذا مع عرض الأعلام واللجنة والشاهد الخليفة فتسرب جرائمها الى الأسر والمجسعات ؟!

وهل يفتق ذلك مع استقدام الفنانين من كل الأعاء . بحثاً عن المجون والبث .

وكذلك « الوجوه الجديدة » التي تفرص على الظهور قد أصبحت شركاً تقع فيه البريئات في أيد لا يزعم لها أحد لقاء ولا طهارة .

وتلك جميعاً أبواب القوضى الخلقية لا بد أن توحد ، ولا بد أن تكون

الإذاعة للرئية في كل بلد مسلم تسييراً عن إرادة الأمة الإسلامية المتمسكة بدينها ، ولا ينبغي أن تكون صورة لما في الترف المادي من فساد وانحلال .

ولا بد أن تسهم وسائل التوجيه جميعاً في تثبيت تراثنا الذي هو سر حياتنا ،

وحفظ قيمنا الأصيلة ، وأن تنأى عن التيار المتصل الذي يهددنا بانفناء ، فذلك هو الأخرى بأدوات التوجيه الرسمية في بلاد عربية مسلة تحمل أمانة الأجيال .

الصَّحَافَةُ الْمَتَكِسِّبَةُ

لقد انعمت الصحافة في كثير من المجتمعات الإسلامية اتجاهًا سيئًا، جرّ على المجتمع كثيرًا من الخسار . قد أصبح الكثير من الصحف تجارة، يهدف أصحابها إلى الربح ويتنافسون فيه، ويسلكون في ذلك كلَّ سبيل، ولو كان فيه أذى للمجتمع وإشاعة الفوضى في أمثاله .

وكانت مسألة التريزة من أهم ما شغلت به الصحافة العربية المعاصرة وأثرت عن طريقه .

• • •

كانت الصور البارزة أو الشيعة البارزة، أم سلمة تاجرت بها الصحافة في بعض بلاد المروبة لقد وجد القارئون عليها أن هذه الصور تجذب وتغري، فهي كفيلة باستمالة القراء فيكثر التوزيع وتضخم الثروة .

وسواء كانت هذه وسيلة لتأية، أو كانت غاية أحيانًا . قد سارت الصحف في الطريق إلى نهاية للشوط، غير مبالية بمبدأ ولا خلق، ولا مشقة على فرد أو مجتمع . فأصبحت أكثر الجلات لا تخلو صفحة منها من صورة يقصد بها إلباب القارئ واستغلال حرمان الشباب . وبهذا استطاعت أن تسيطر وتنفذ وتبيع للمال الكثير .

ومن هنا فإننا نعتبر هذا اللون من الصحافة بآيا من أبواب الفوضى، يشير للفتنة ويدعو إلى الفساد ..

• • •

واصطنع بعض الكتاب الصحفيين إلى جوار الصور للنرية ألوانا من التوجيحات الخاطئة في صور شق ..

فأحيانا كُتبت صريحة تهاجم التقاليد والرجعية والشرف .. وتدعو إلى التجديد والتطور ..

وتحت اسم التقاليد والرجعية يدخلون كل ماورثناه من حق وخير ، وكل ما عرفناه من نور وهدى ..

فالهم لئلا نخرج المرأة إلى الشارع ولللهي وأن نحرر من كل قيمة ومبدأ ، إلا مبدأ التقليد الأعمى والانصياع التليسل لما يرميه الغرب . ويدعو إليه .

وأحيانا دعوات غريبة هادئة ، كدعوة البناء التي ألح فيها بعض الكاتيبين . وبالتوا في ترتيبها .

وأحيانا دفاع عن للنكرات والقواش .. كالتغر والتمار ، الذين دافع عنها . بعض الصحفيين في مصر بحاس حين هاجمها العلماء والصلحون .

وأحيانا إجابات عن أسئلة عاطفية مصطفة ، بأجوبة سخيقة ذات إجماع مقسد وتوجيه خبيث .

وأحيانا تنهك بالغاف والاستقامة ، وسخرية من الصون والتمرر ، بالإيذع . مجالا لعمارة ولازكا .

واتخذت الصحافة من الأزراء وصية لامتلاك قياد النساء في المجتمع ..

فجلت حديث الأزراء موضوعا ثابجا ، يقل فيه كل ما استحدثه الغرب وكل ما ابتكره « خبراء الجال » لكي تسقط للمرأة الأنظار وتفتقر بالإيجاب . وكل

صحيفة منحصر على أن تقدم في ذلك شيء أعجب وأغرب ، كي يكون لما فضل
السبق والابتكار .

ولم ترع الصحافة في قتل الأزياء ، ظروف مجتمعنا واختلافه عن المجتمعات
الغربية في حقيقة التكوين وحقيقة الانجاء ، فأخذت تنقل كل ما يصدر عن الغرب
ولو كان شذوذاً أو انحرافاً ، مما أدى إلى موجة التقليد السيئة ، التي شملت النساء
للحفات في كثير من الأنظار ، فأدى ذلك إلى إلذاب التراز وإغفال للشهوات ،
وتوجيه كثير من الشباب إلى إيذاء النساء في الطرقات والمجامع .

ولازال بعض الصحف تتنافس في تقديم الأزياء الغربية الجديدة ، بصورة
كأنها إلزام ، تطالب النساء باتباعها وإلا خرجن من ساحة التجديد والارتقاء ،
واقفكن في الرجعية والتهباء !

• • •

كما أخذت الصحافة من التانيات مادة حية لتقديم ألوان مختلفة من الأحداث
الغلافية المصحورة بالصور القاضية للرذوة . .

ويشتد الخطب حين يكون الحديث مع إحدى اللثلاث العائيات فيخرج
الحديث إلى التصريح بدل التلميح ، وإلى الكشف بدل الخفاء .

وهنا ترى صورة التذنى إلى دركات المروانية ، التي لا يقصد به إلا دفع
الجماعير القوضى وإغرائها بالألغام . .

ولازالت التانيات وأشباهن يتخذن من الصحف وسيلة للظهور والشهرة ،
حتى تصير أخبارهن وأحاديثهن على كل لسان !

وهذا خطر مفرع ، يهدد محافة بين الصحافة وبين القوضى الخلقية ، ويغرض

على الجماهير متابعة أخبار العاجلات والاصتاع التوجيهات المنحرفة والإيحاءات القاتمة
للأمة التي تذب في الأمة قوى الكفاح وتصرفها عن الجدد والنجاح .
ورغم أن الصحف في بعض البلاد الإسلامية في يد الدولة إلا أنها لم تستقم
بدُّ على الطريق .

إن كثيراً من الصحف في البلاد الإسلامية مازالت في صورة متخلقة عاينى
أن تكون عليه من الاتجاه نحو التوجيه السليم والبناء الرشيد واحترام عقائد
الإسلام ومثله . .

فلا زالت تتاجر بالنريزة . . بالصور العارية ، والأحاديث الالهية . . بل إن
هناك مجلات وقفت صفحتها على هذه التجارة الخاسرة مستهينة بالمثل والأخلاق .
ولن تنتهى تلك الحقبة إلا بجيل جديد من رجال صحافة للبدا والرأى ، الذين
لم تصد الصلوات بينهم وبين القنات ، ولم يأتوا حياة الؤاخير ولم تصبدهم المحور
والشهوات ، ولم ينطجوا بيط الحمة المادية ولم يفتنوا بأغاط السلوك فى المجمع
الترى الذى يبد الذة ويكفر بمبادئ الأخلاق . .

إنها مسئولية الصحافة فى البلاد الإسلامية جميعاً ننظر بين التصدير للعواقب
إلى ثمرات هذا القرس الذى يخرسه كتابها ، وأن تدرك إلى أى مدى يتأثر الناس
بما يرى ويقرأ ، وكيف يتصور مثله ويختار مبادئه من هذا الطريق . .

فليسها أن تظهر قسما من كل دنس ، وأن يكون ولاؤها للأمة ومبادئها ،
لا لدولها وأهدافه ، وعلى الدولة فى كل مجتمع إسلامى أن ترف حارسه على العقيدة
ولتلقى وأن تحول بين الصحافة وبين التوجيه الضال للشباب بما تقفه من موم
الانحراف ، تبضى بذلك تملق التراز وإعجاب التوغاه ، ولا تشر أنها تحقق
أهداف الأعداء وتأتى على بنياننا من القواعد .

« إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى
الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون »

المخدرات والمسكرات

أما المخدرات والمسكرات فهي باب خطير ، بل هي مفتاح الخطايا وأم
الطهات ، ولذلك حرمها الإسلام ، لما فيها من غيبة للعقل وبقلة لهوى ، فيقتل
الإمام من بد الفكر ويصبح طيحا في يد الشيطان . .

وهما يقتربان دائما بالتطلع إلى المزيد من الشهوات والتهالك عليها بأى طريق ،
حتى نحو ينهك الجسد ، ويرهق الأعصاب ، ويثير القوضى في حياة الإنسان .

وبقاء هذين الباءين - المخدرات والمسكرات - من أسباب القوضى الخلقية
التي تنشئ المجتمع الحديث وتسبب الناء لفرد والمجتمع .

• • •

وقد فطنت الأمم إلى آفات المخدرات وغوائلها للرهقة للبيئة السعيدة ، للبيئة
الطاهرة والنشاط ، فحرمت أكثر المجتمعات تداولها وتناولها ، وحظرت تجارتها بقوانين
حازمة ، تحمل أقصى العقوبات .

وهذا انجاء حسن ، يحى البشرية من الملاك ويقبها القوضى التي تقود إليها
المخدرات .

وفي مجتمعنا تكافح المخدرات كفاحا عنيقا بمسائل شتى . ولكنهما مع ذلك
محتدولة منتشرة . . !

والحق أن القوي يستطيع أن يحارب المخدرات ويقضى عليها في بُر هو الشعب
تسلم حين يحاط علما بأفاتها وغوائلها ، وما تجره على الأمة من خسار ، ويطلب

منه باسم الإيمان أن يبذل جهده في القضاء على هذه السوم الهلكة التي ترى من
ورئها شر ذمة ضالة على حساب أمن الجميع وسلامه. وهذا قد يستطعم الشعب أن
يفعل الكثير من أجل تخفيف متاع هذه السوم ووقاية الجميع من خطرها الدسم.
فإن القانون وحده لا يكفي ، بل لا بد من استتارة عزائم المؤمنين لحماية
مجتبهم مما يهدده من وباء ، وليس هناك حافز أقوى من ذلك ، فدون حفا
كل قوة وبأس !

• • •

ولكن العجيب الذي يلفت الأنظار هو موقف بعض الدول الإسلامية من
الخطر أم الكبار ..

نعم .. فلماذا تحارب المخدرات ، ولا تحارب السكرات ؟

إن الخطر داهٍ منكم وطريق موج يؤدي إلى فوضى الخلق وفوضى
الجميع ..

فلماذا تحف منها المجتمعات الحديثة هذا للوقوف للعائم ، الذي يرى الخطر فلا
يحدركه ، والوباء فلا يقضى عليه قبل أن ينتشر وينفك !

إن كل الأديان السماوية قد حرمت الخمر ، دون اعتبار لما يلقو به بعض
المجادلين بالباطل من موقف للمسيحية من الخمر . فذلك اقتراء على دين الله ، وتعلق
الشهوات والأهواء ..

« ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب
وم يعلمون (١) »

«كأما الإسلام فقد شدد التكثير على الخمر وحاربها بشق الوسائل .

فهو يفر منها ويحذر من غوائلها للثقة للحياة والنفاه . . .

وتلك هي الخطوة الأولى التي تخاطب في الإنسان عقله وكثير فيه جانب

الغريز على شبه وماله .

عن عثمان رضى الله عنه قال : «اجتروا الخمر ، قبلها أم اللبائث ، إنه كان رجل
مجنون خلا قبلكم يتصيد ، فسلقه امرأة غريبة ، فأرسلت إليه جاريته تطلبه للشهادة
فحفظت معها ، فجلست كلما دخل بها أفقته دونه ، حتى أنفست إلى امرأة وضيفة
هذه غلام وباطية خمر . فقالت : إني والله ما دعوتك للشهادة ، ولكن دعوتك
لنقع حل ، أو تشرب من هذه الخمرة كأما ، أو تقتل هذا الغلام . قال : فاستقي من
هذه الخمر كأما ، فسقته ، قال : زيدوني ، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس .
فاجتروا الخمر ، فإنه والله لا يجمع والإيمان أبدا إلا يوشك أحدهما أن يخرج
صاحبه ! . .

ومن أجل ذلك كان من يصر عليها مطرودا من الرحمة محروما من

الخير . .

وفي الحديث « لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر » (١) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لمن الله الخمر وشاربها وساقها
ووافئها وشبثها وحصرها وحاملها والمضرة إليه » (٢) .

وقد سدد النبي صلى الله عليه وسلم لبب الاحتيال على شرب الخمر تحت أى اسم

(١) رواهما الترمذى .

(٢) أبو داود والترمذى .

من الأسماء، فجعل التحريم منوطاً بوجود الإسكار أيًا كان للسكر وأيا كان نوعه قال :

« كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » ^(١) .

وقد سأله رجل من جيشان باليمن ، عن شراب يشربونه بأرضهم يقال له للزرب . فقال صلى الله عليه وسلم : « أو مسكر هو ؟ قال نعم ، قال : كل مسكر حرام ، إن على الله عز وجل عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو حصاراة أهل النار » ^(٢) . وقد نبه الرسول صلوات الله عليه إلى أنه سيكون من أمته من يصعل الخمر ويسبها بنهر اسمها ، فقال : « ليشربن ناس من أمتي الخمر يسونها بنهر اسمها » ^(٣) .

وبعد الإرشاد والتبصير يأتي موقف العقوبة التي تزرع أصحاب العزائم الخلوقة والإرادة الواهية . .

وقد جبل الإسلام فخر عقوبة زاجرة ، حتى لا يقترب أحد من هذه الخلق التي قتل في الإنسان عقله وخلقه . .

وهي أربعون جلدة ، قد « أتى رسول الله صلوات الله عليه برجل قد شرب الخمر جلده يبريدين نحو أربعين » ^(٤) .

ويجوز لحاكم أن يزيد في هذه العقوبة إلى الثمانين ، كما صنع عمر بن الخطاب

(١) رواد الحنفية .

(٢) رواد مسلم والنسائي .

(٣) أبو داود والنسائي وصححه .

(٤) رواد الأربعة

رضي الله عنه « قد جلد النبي في الخمر بالجريد والنعال ، ثم جلد أبو بكر أربعين فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرى ، قال ما ترون في جلد الخمر ؟ قال عبد الرحمن بن عوف : أرى أن تجعلها كأخف الحدود (وهو حد القذف بالزنا) فجلد عمر ثمانين » (١) .

أما إذا انتهى الأمر بشارب الخمر إلى حد الإدمان وأصبح قدوة مينة في المجتمع ، فقد تصل عقوبته إلى القتل حماية للجمع من شيوخ القاحشة . فقد روى ابن عمر وغيره من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من شرب الخمر فاجلدوه ، ثم إن شرب فاجلدوه ، ثم إن شرب فاجلدوه ، ثم إن شرب فاقطعوه » (٢) .

وذلك دليل على خطورة الخمر على الكيان الإنساني حتى يفقد للدمن عليها حق الحياة ..

ولا ندري لماذا تبقى الخمر مباحة حتى اليوم في كثير من الأنظار الغربية والإسلامية !

إنها في نظر اللغويين بالحضارة الغربية للتقبلين لكل مظاهرها شارة من شارات التقدم والارقاء ..

مع أنها في منطق العقل والعلم أحكامها خطيرة للسلوك الإنساني وإهلاك النفس والتفكير ينأى عنه العقل الصحيح ..

ونسب كذلك أنه كلما قام ناصح شفيق ونذير صادق في هذه الأنظار للبلاهة بالآفات ينصح قومه أن يموا أنفسهم وأهلهم هذا الواء القاتل وأن يوصلوا هذا

(١) رواه الأربعة .
(٢) السنن والترمذي .

الآب الففوف للفرور والفرفم ، ففوم فف وفه الفف ففصفا أفصم للفففل
ملاف هفا الففمف الإسلاف وفففة آفاف الإسلاف فف . ففاففون من الفرف ففلس
وفافرف ، مففففن منففرفن فافه الفففلف والففوف إن أفمفا فوففه الإسلاف وسلسفا
سففله ..

وفف ففص الأفاف الإسلافف فافف الففلاف الصفففة للففاف من الفرف والمطالفة
بالإففاف على مواففرفا ، وففد ففص السكفاف لففه من الفففف ماففله فففرف
على اللأ بالففان وبسفلن بالأففلف ..

سكف ففصم من مفاف الفرف الصفا مع أن الأفباء فففون على ضررفا
ومففرون من فوافلها ..

ومن حق للسفففن والبفوف الفف ففشفون فف الأفاف الإسلافف فف شرف
الفرفا وكأفما الففمف الإسلافف مطالب أن ففاف مفاففه وأن ففوف مفاففه
من أفل مالفه أهواء الأفلفاف ، الفف ففمف فففها الفرف فف ففففة الأمر ..

ومن حق السافففن فف فوفر الفرف لهم فف فلاف الإسلافا كأفما ففمف هؤلاف
للسرف فف فلاففالا للفرفة والففر . وكأفما فلffa أن ففف مفاففا وفوفن أفلاففا
للسكف أموالا كففرف أو فلف ..

وكله ففلف فففرف ، لاففة له ولا مفلف ورافه .. ولسكفنا مأساة الصفاة
الفف مفلف مفافف ففف مفافف الإسلاف والفف لا فرفر له وفاراف ولا فرفف له
كرفاة (١) ..

والحق أفه مافن ففر أو ففة للففمفاف الإسلافف الفف ففقف فل الفرف ،

(١) اففر ل ففلك مافسكف سلامة موسى والفافف وأهافها فف فرففة الأفافز
للسرفة سنة ١٩٥٨ .

وهي تهدد العلاقات وتهدد المزائم وتفسد الأخلاق ، مع ما عليه الأمة الإسلامية من خُفٍّ وتُخَلَّافٍ فكيف تترك للواخير تنصص الأموال والأخلاق ، وتبث فينا الوهن والعمناء .

لقد أدركت مجتمعات كثيرة لا ندين بديننا أضرار الخمر وحاولت نزعها أو تضيق نطاقها ، ولو بدافع اقتصادي توفيراً للجهود والطاقت^(١) .

وقد حاولت أمريكا في تاريخها الحاضر أن تغمي مجتمعا من شرور هذا الداء ، فخرمت الخمر ..

ولكن القانون لا يكفي .. والدافع الخلقى والروسى للشعب كان ضعيفا ، فمضاتلت الدولة أمام إصرار الشعب على هذه القسوة .

ولكن مشر الأمة الإسلامية - تستطيع القضاء على الخمر في حزم وصر ، حين تشيع لدى الإسلام في المجتمع ، وتسعين بوجيه الإسلام ووسائله القنعة في الهداية والإرشاد .

وقديماً تحرر المجتمع الإسلامى الأول من الخمر عن طيب خاطر امتثالا لأمر الله وتصديقاً بآياته ، بعد أن بين القرآن للمسلمين عوائل الخمر ، وقلون بين ما فيها من مضرة وما تجره من دمار وخسار :

« يسألوك عن الخمر واللبنر ، قل : فيها إثمٌ كبيرٌ ومناقع للناس ، ولأنهما أكبر من نفعيهما » .

(١) أخيراً صرح خروخوف في نيويورك بأن السوفيت لا ينجحون أولتهم في شرب الخمر . تمريناً بالأمريكان .

تقدرت الآية أن في الخمر شيئاً من المنفعة للبدية لثقلها قليلاً ، كالقبن يبعونها .
أو يسلون في مواخيرها ولكن أذاها للجميع كله أشمل وأعم .

وأمام هذا قطع القول وتسلم ، ولا يكابر المؤمنون ولا يمانحون . .

وهذا ما كان من المسلمين الأوائل حين نزل التحريم . . في الكتاب
الكريم . .

فندما نزل قوله تعالى :

« إِنَّمَا الْخَمْرُ وَاللَّيْسُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ حَمْلِ الشَّيْطَانِ ،
فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْمِلَّةَ
وَالْبُغْضَ فِي الْخَمْرِ وَاللَّيْسِ ، وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ،
فهل أنتم متبهون ؟ وأطيعوا اللَّهَ وأطيعوا الرسول واحذروا ، فإن توليتم فاعلموا
أننا على رسولنا البلاغ للبين » (١) .

أقبل للمسلمون الأولون على الخمر يسكبونها ويكسرون آئيتها ، ونمروا ونمروا
تأماً من سلطانها ، ودخلت الخمر دائرة المحرمات التي يستتبع عنها التؤمّن بمقتضى
عقيدته وإيمانه ، ولا يقع فيها إلا إذا خفل عن دينه واستزله شيطانه ، كما يقول
الرسول صلى الله عليه وسلم :

« .. ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » (٢) .

(١) سورة المائدة ٩٠ - ٩٢

(٢) رواه البخاري .

فسلطان العقيدة الإسلامية أقوى سلطان ، وأتمها في السلوك الإنساني .
أقوى أثر .

وإن مسئولية الدولة في كل بلد إسلامي أن تقذف شعبها من الخمر وتحميه من .
آفاتهما ، التي تفسد الخلق وتهلك الحياة ، وتكسر في المجتمع التفتت والاضطراب .



إن المخدرات والسكرات باب خطير تقوض التريزة ، لا بد من إغلاطه-
وتخفية آثاره ، فهو يهدد العقاف ويهدد القوى ، ويث فينا الوهن والضعف ،-
أحوج ما نكون للحياة والقوة والبناء .

أَدَبُ الْحِطْيَةِ

فن القصة بصورته الحاضرة ، لون جليد طرا على الأدب العربي في هذا العصر
مجد احكامه بالأدب الأوربية .

وقد كان يمكن أن تكون القصة أداة هامة ذات أثر فعال في التوجيه الجاد
والرعاية النفسية واللمنوية . فإن في القصة من الطراقة والتشويق ، ما تسرب به إلى
النفس وتستحوذ به على القواد ..

والقرآن - كتاب الله الخالد - قد اتخذ من القصة وسيلة لمرش حقائق
الإيمان ، وتسبق جذورها في القلوب ، وفي سر دقة ثق الـكون وعبر التاريخ
خلال الأجيال .

« نحن قم عليك أحسن القصص عما أوحينا إليك هذا القرآن ، وإن
كنت من قبله لمن النافلين » (١) .

« وكلاً قم عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه
الحق وموحته وذكرى للمؤمنين (٢) » .

ولكن كثيرا من كتاب القصة في هذا العصر ، انجسوا بها وجبة خاطئة ، ابتغاء
المشهرة والرواج .. انجسوا إلى التجارة بحديث التريزة واستغلال فنونه في صورة
متشابهة وألوان مخططة ، تتيح لهم المادة السهلة والريح الوفير . وأصبح لهم قراء
كثيرون يتابعون ما يصدر عنهم ، من القتيان والفتيات الذين يجدون في الأدب

(١) سورة يوسف ٣

(٢) سورة هود ١٤٠

المكشوف معة مسمومة ، تدفع إلى تطبيق الأحكام وتعميقها في عالم الواقع ، وبدلاً
أن تشأ وتنو في عالم الخيال .

• • •

إن للرجو من كاتب يحترم قلبه وعقله أن لا يبتدى إلى استغلال العرمان .
وانخاذ إثارة الترائز وسيلة للشهرة والنجاح .

ولكن عبادة للادة تدفع بعض الكتاب إلى هذا الاتجاه الرذول .

والأمر يسير . . فاعلى الكاتب من هؤلاء إلا أن يختار صورة من الصور .
للمكنة الحصول ، ليث خلالها مشاهد الإكارة ، التي تصور العرمان وتصور
معه ما يلجأ إليه المحروم ، ثم يختم القصة بأى خاتمة ، ممكنة أو مستحيلة . . فالنهم
عنده ما يته خلال القصة من مسموم وما أوحى به من أفكار ولو كانت مدمرة .
الشباب ، قائلة للعفاف وللرودة والسماء ، فذلك معان لا وجود لها في عقول هؤلاء .
الكتاب وأفلامهم .

وبهذا السبج الخبيث يشق هؤلاء طريقهم ، فتفتح لهم الأبواب ، وترفع
لهم الرامات ، فيشئون فتنتهم في الشباب ، ويلطخون بها الجفجف ، ويمجمون الأموال .
الطائفة ، غير عابئين بما جنوه على أنفسهم من دمار وخسران .

إذا اتضح الأمر على أنه تجارة بهذه الصورة ، خف وقه وانكشفت .
أهدافه . .

ولكن العجيب أن يثقل بالخداع والترزور ، إلى رسالة ومبدأ ،
وزعامة وتوجيه !

فن للؤسى أن يتصدر هؤلاء الكذب ميدان قيادة الشباب ، ويصدوا
لتوجيههم وحل مشكلاتهم مع أنهم يزعمون مشكلات الشباب تعقيداً ووهماً .

.. مما ينتج الاجتماعات الضالة والأفكار المبرقة ، فهم أبناء الشباب
.. وصانعو مأساته ..

وهل ينشئ للسفلة المنتهز شفاء ضحايا الذين يخدمهم ويستنزف قواهم ؟
إنه يتنى أن تظل الضحايا أبداً في ضلال وعى ، حتى يطول للذى
وتكثر الأرباح .

. . .

ومن كتاب أدب الخطيئة أو « أدب القرش » كما سماه الأستاذ العقاد ، من
يزعم أن ما يصدر عنه إنما هو إبداع قبيح ، وتسيير عن الصور التي تراءى له ..
فلماذا اليوم والتصنيف ؟

إنه أديب ملهم يرسم صوراً تمول في قسه ، وتلح بحياه ، فهل من حبر
على القنان .. ؟

تلك دعوى يدافع بها بعض الكتاب عن أنفسهم وهم بهذا ينقلون للساعة من
حالتها الواقعية إلى عالم آخر من صنع الخيال . فيدخلون في الجدل حول الفن للفن ، أو
الفن للحياة . وهو جدل عقيم لا جدوى منه .
فهل يمكن عزل الفن عن الحياة ..

أو هل يمكن أن يقوم الفن بهدم الحياة .. ؟

إن الفن يحتاج بشري ، وإذا تعارض هذا النتائج مع مصلحة المجتمع
.. وأضر به ، فإن من الحتم على القنان أن يكبح جماح فنه الذى يهدد الحياة بخطر
.. القوضى والانحلال

إن من المؤسف أن يصد كثير من الكتاب والشراء للعاصرين إلى معالجة
.. موضوع الحب متمسكاً بالشهوات والنرايز وأن يهبطوا به إلى درك حقير ، باسم التعبير

من الواقع ومعالجة مشكلات الإنسان المعاصر ، وما دروا أنهم بذلك يظنون الأدب
كما يظنون الإنسان .

فهم يظنون الأدب حين يخلوته يتصل بمرآة دنيا أوسع عن عواطف مسفة ،
فتنطق قيمته ويهون شأنه ، وقد أشار إلى ذلك هاد الترب أنفسهم ، على نحو ما يقول
« بند توكر وتشيه » في كتابه « الشر » ناعيا على الشرعاء للسقين :

« فلم تمر الشخصية محددة عن طريق نتائج الشرى ، بل صار الأمر على
القيض من ذلك .. إذ صار النتائج الشرى هو المحدد بصمم الحيوانية الفردية التي
تفرق فيها وضاعت معالها ، وسين يصعدون عن الشر أنبل الشر ، يصعدون منه
وقد أصابت هذه العدوى وقاضيت منه رائحة التفرز ، رائحة الجنس والتفرزة
الحيوانية للفقرسة (١) » .

فالأدب هو المجال الذى يرتقى فيه الإنسان بوجوده وفكره ، ويخلق فى أرق
رفيع من التل والصور ما يبرز عن تحقيقه فى عالم الواقع ، لا أن يصبح الأدب
صورة كريمة لواقع مسف ومجتم مضطرب ..

أما مجازاة للذاهب الفرية التى تخرج من مجتمعاتها المقلقة للفتنة بالشهوات
البعيدة عن القيم والأخلاق ، فهو أنجاه يصعد بنا عن طابنا الأسفل ونصلنا من
تراثنا العظيم ..

إن أدب الخطية ليس إبلا ولا فنا .. بل هو عمل أدنى من ذلك وأسط .
إنه فن تجييد الفتوى وتبر عن فيه ، أكثر مما يجييد الكتاب والأدباء ..

• • •

(١) الشر لكروتشه ١٤٦ - ١٤٧ تلامن التعد الأدب الحديث الدكتور محمد
شمس هلال ص ٤٠٠ .

والمؤسف أن كثيرا من قصص الخطيئة هذه ، يعرف طريقه إلى السينما التي
تقباهى به وتزهو بأسماء كتابه ..

ومن هنا يصيب المجتمع ضرر هذا الأدب مرتين .. حين ينشر ، وحين يصور
ويتمثل ، وهي أشد وأنسكى ، فأثاره السيئة حينئذ تصيب الجماهير على نطاق واسع ،
يشمل الرجال والنساء والقارئین ولأبيین ، وبذلك تمسق جذور هذا الأدب في
في المجتمع ، وتتم تمارها للزرة في الحياة والسلوك ..

إن من المحتم وقاية مجتمعا من هذا الباب للتفوق للانحراف الذي يفرز
بالشباب ويث فيهم الأفكار الخاطئة ، والاتجاهات الضالة ، ويغريهم بالانطلاق
الهدام والحرية الفوضوية ، التي لاتصلح معها حياة ولا يستقيم للإنسان بها وجود ..

الاختلاط والحُب الزائفُ

ذلك باب واسع قوضى الأخلاق يكثر صرعاؤه وبرو عدد ضعاياه .
ومع هذا فإزال بعض الناس يمارون في خطره وينودون عن كياه ، ويردون
عنه هجمات الناصحين والمخذون .

وبعض الناس يخدمون في فهم حقيقة الاختلاط والحُب ، ولا يستطيعون
هضم وصايا الإسلام في إغلاق ذلك الباب لوى .
إنهم يظنون أن هناك رأيين في هذا الموضوع :

رأى الإسلام الذى يرى حبس المرأة وراء أسوار حصينة ، وللهاجنة فيها وبين
الحياة ، ورأى القرب الذى أحلى للمرأة الحرية ووجهها حق الإحساس بالحياة
والشاركة فيها .

وذلك خطأ بين ، فلا الإسلام يرى هذا رأى ، ولا القرب يلو للمرأة
أو يضى سعادتها وأمنها حين يفتح لها مجالات لللافة ، ويحببها إلى مباحج
الحياة ويقتن في اتصال جوانب القهر والمجون والعطيش التى يترى بها المرأة
ويحببها إليها .

إن الإسلام قد وضع قواعد الاختلاط للشروع الذى تضمنيه الحياة القاضية ،
وتستدعيه المصالح الجادة .

إن حبس المرأة خلف أسوار حصينة ليس من خطة الإسلام ، فإنه لا يجل
للشكة ، ولا يثق مع مطالب الحياة وحاجتها .

وها نحن نرى القرآن لا يذكر حبس المرأة في البيت إلا عندما تحيط بها الزينة ، وتنفس في القاحشة ، وتصبح خطراً على سلامة المجتمع وعفافه :

« وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْقَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ، فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ لِلْوُتِّ أَوْ يَجْمَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ^(١) » .

وقد كانت هذه عقوبة القاحشة للمرأة في صدر الإسلام قبل فرض حد الجلد أو الرجم ! .

فهل يصور من الإسلام : لقدى كان يجمل إمساك للمرأة في البيت عقوبة لها على الخطيئة ، أن يرى إمساك كل النساء في المجتمع وراء الجدران ؟

لقد حدد الإسلام للمرأة رسالة وكلها كالرجل ، وأبسطها الخروج إلى المجتمعات في اللوازم التي تستلزمها حاجة التكليف وضرورة الحياة .

فالمرأة للصلة كانت تشهد الصلاة في المسجد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمامها صفوف الرجال .

وكانت تفتش مجلس الرسول صلوات الله عليه وفيه الرجال لتسأل عن أمر دينها أو لتستفتي مهم دنياها .

وكانت تشهد القتال وتخرج مع الجيش لتؤدي رسالة وتقوم بواجب .

وكانت تفتش الأسواق لحاجة للبيع والشراء .

وعجالس القضاء للزجاج أو الشهادة .

ولم يعرف أن الإسلام قد حال بين نسائه وبين الحياة أو أخلق عليهن منافذ
«النساء والنساء»

.. ضوابط الاختلاط :

ولكن الإسلام على تسامحه وتهديره لضرورات الحياة وحذبه على معاليم
«الرجال والنساء» ، قد حسم أمر الاختلاط للريب وأخلق منافذه وشدد
«النكير عليه» .

فهو يحرم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه ، لأنه يرى أن هذا طريق غير
مأمون يؤدي غالباً إلى منكر وخطايا مهولة ، وأن التريزة تستيقظ دائماً في الخلوة
«فتجترى» وتقدم حريصة على الوصول .

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم .. « لا يخلون رجل بامرأة » (١) ..
ويرتب الإسلام على هذا منع مظاهر هذه الخلوة ومقتلها حتى في مواطن العبادة
«وأغراض الحياة للهمة» .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يخلون رجل بامرأة ، ولا تسافر امرأة إلا ومعها محرم » .
«قام رجل فقال : يا رسول الله « اكْتُمَيْتْ بَنَاتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكُنَّا ،
وخرجت امرأة حاجبة . قال : اخضب فحج مع امرأتك » (٢) .
ويحرم الإسلام اختلاط النساء للتبرجات بالرجال .. فهو وإن لم يكن منه
«خلوة» مظنة تلجئ إلى العلاقة وسوء الطوية .

(١) البيناري .

(٢) البيناري .

وفي هذا يقول الله سبحانه : « ولا يدين زينهن إلا بهولتهن - أى - أزواجهن - أو آباء هولتهن أو أبائهن أو أبناء هولتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نساكنهن أو ما ملكت أيمانهن أو التاجين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ^(١) » .
وهذا إجراء وثائق لا ينفى إلا تضيق فرص فساد الصلات بين الرجال والنساء .
وحمايتهم من الخلو والفتنة .

فالرجل حين يرى امرأة متبرجة لا ترمى حدود الإسلام ، لا يرى فيها إلا أذى تستعرض مظاهر فتنها وتستعنى الإعجاب والتطلع . وهذا كفيل بإثارة الفتنة والإيحاء بمجانى الإثم وسأوسه .
ومن هنا فإن للمرأة للتسرة المحتشمة أن تشفى المجتمعات في ضرورات الحياة وحاجاتها . فليست المشكلة في الاختلاط ذاته ، وإنما هي في جو الاختلاط .
وإجماعه ..

• • •

لكن واقع الاختلاط في المجتمع الحديث مؤسف ..
فقد ضاعت مجالات اللقاء للرب وتشتت طرقه .
فاستطاع الرجل التآجر أن يستلجج المرأة حيث يشاء ..
وسبق إلى فهم الكثيرين أن الاقتران بالنساء في أى مجال - مهما كانت له فائدة - لا بد أن يستلجج إلى نيل الأفراس الحفيرة وقضاء الرغبات المحرمة ..
وبين هنا تمحوّت مساحات كثيرة إلى فرص واسعة لهذا المقصد .. فهاهنا

عظيم -- على ما لما من طهارة وتوقير -- أصبحت مسرحاً لإنشاء العلاقات بمحبة الزمالة والروح الجامعية .. ولينها كانت علاقات باقية تنهى إلى خير .. ولكن انقلابها لا هدف له ولا خير فيه ..

وأما كن العمل كذلك امتلأت بالمناقشات بين الرجال على نيل الخطوة عند الترميمات والامتنان بالوهم ..

وساحات الترويح والهوى من حداثى ونواد ودور سينما ومسارح ، أصبحت مواطن لإنشاء العلاقات وتوكيدها ، ومهرباً تنمو فيه العلاقات غير للشروعة بعيداً عن العقول والرغبة .

بل إن الشوارع ووسائل الافضل انقلبت إليها عدوى ذلك الوباء .. فلا غرو أن ينظر للؤمنون إلى هذا الاخلال نظرة سيئة .

ولا غرو أن أصبحوا يصبحون لكل مجال يختلط فيه الرجل بالمرأة .. إذ أن الشرور والأوبئة التي أسفر عنها الاخلال القوضى قد أصبحت حجة تدفع هذا اللون من الاجتماع للريب ، وتقضى على كل ظن حسن أو نظر برى ..

وقد بينا عند عرضنا لمشكلة الشباب ، أن الذى ثبت هو أنه لا خير من الاخلال ولا جدوى له .. إذ هو استتارة الفرصة تدفع إلى الحرص على الخطيئة جيداً عن عين الرقباء .

ومن جهة أخرى يمد هذا الاخلال باباً للقوض الخطيئة قد أدى إلى صرف الشباب عن الزواج منذ رأوا أن الالتقاء بالمرأة وخدماتها سهل يسور وعرفوا كيف يخدمون التفتيات ويلبسون بقولهم وأحلامهم ، ثم لا يصدقون فى قولهم .. ولا يفون به ..

إننا لنفكر القراء الرجل الإنسان المرأة الإنسانية في جو واضح طاهر ، وفي صورة مقولة مأمونة تحكمها ضوابط الشرع وآدابه .

ولكن الذي نفكره ونرى فيه كوامن الشر ويواصت القصاد ، هو تمييز قمرى القاء بين الجلسين وسط مظاهر خيفة وإعجابات كريمة بلا ضرورة ولا اقتضاء .
فلذا كان الممكن أن تتعلم القننة في معاهد خاصة بمنسها فـاـ يلجئها إلى مزاحمة القنق ويجالسه ؟ !

فإن أجاتها الضرورة إلى الدراسة في جو مشترك فـاـ يدفعها إلى فوضى الأتراء ، وعرض الجسد وإبراز القننة ؟ !

وإذا اضطرت إلى السل فـاـ اضطرارها إلى الاحتكاك وتمسد القننة والإثارة ؟
إنه من الممكن أن تنال للرائقة الحركة ، وأن تستطيع أداء الواجب والإسهام في التيات ، دون أن ينبجم عن ذلك من الضرر والقصاد ما هو مشاهد وذلك حين تنزل إلى المجتمع متخلية عن قناع القننة والإثارة ، متجنبية العلاقات التي لاضرورة لها ولا جدوى منها .

وحين تكون المرأة للسلة كذلك ، فلها تعود إلى مكانها في صدر الإسلام ، وحينئذ تسجل لها صفعات المجد والتفخر ، وتعرف باب التاريخ الصحيح .

• • •

ونعاني فربة الاخلال الحب الزائف .
ولم يعرف التاريخ الإنسانى تشوها لكلمة الحب وتدنيساً لها كما عرفها في هذا العصر ..

تقد أصبحت كلمة الحب تعنى مشاعر غليظة كدرة تمت إلى الحس ولا ترقى إلى أشواق الروح ..

ولم يعد الحب ذلك العنى الرفرف للىء بالشامر السامية والخيالات الرفيعة ..

لم يدركا كان الشاعر العربي يقول :
هل الحب إلا حيرةٌ همدٌ عثرةٌ وحرٌّ على الأحشاء ليس به برْدٌ
وفيضٌ دموع العين ياليل كُلا بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو
إن هذه الروح الغيفة وهذه المعاني الإنسانية قد ولت ، ليحل محلها الحيوانية
للسبقة وللمادية الجامحة .

وأصبحت كلمة الحب باباً من أبواب الخلد ، وسبيلاً للنهب والاختطاف ،
وفي آذاننا تطن أغنيات الحب وكلماته ، وتمت أنظارنا وهم مشاهد وتصرع ضعاياه
والثمرة .. مزيد من آلام المجمع وشكاياه ، ومزيد من الانكسار والشقاء .
إن قهواء الإسلام لم يؤمنوا بكلمة الشق أصلاً ..

وأهون نظر انهم إليه أنه خيالات تخلق بها النفس .. !
والإمام التزالي يرى أن الشق حيوانية مريعة .. فلم يكف صاحبها انصرافه
نحو الشهوات ، حتى وقف عند صورة حسية واحدة .

وسواء أ كانت نظرات قهواء الإسلام إلى الشق مستقلة أم قاسية ، فإن الإسلام
لا يرضى علاقة بين رجل وامرأة لا تسير في الطريق للمصطفى ، طريق الزواج .
وفي بعض الآثار ذكر ثواب العاشق الغفيف (١)

وكان الإسلام بهذا لا يهتم بمناقشة حقيقة الشق وإنما يهتم بحجب فساد
وتوقي أضراره .

فليس يستينا أن يكون الرجل صادقاً في عاطفته أو كاذباً .. ولكن القى
يستينا أن يكون حقيقياً طاهراً ، وهو وشأنه فيما يجده في قلبه .. فليقل المحبون
ماشادوا وليصفوا الهوى والجوى .. كما وصفه الشعراء من قبل !

(١) وذلك ما روى من ابن عباس رضي الله عنه : « من مدق فف فكتم فف فف فهو
شهيد » وقد رفته بينهم إلى الرسول صلوا الله عليه . ولا يصح ذلك .

عزيزُ إسماء من داؤه العذقُ النُّجْلُ حياة به مات المهبون من قبلُ
فن شاء فليَنظر إلى فنظري نذير إلى من ظن أن الهوى سهل
جري حبها بجري دمي في مفاصل فأصبح لي من كل شغل بها شغلُ

ولكن ليقفوا عند ذلك الحد ، فلا ينردون ولا يخدعون ، ولا يشيعون
في المجتمع المأسى والأحداث .

كم نعلم أن تصدق علاقات الرجال بالنساء ، وأن ترجع دائما إلى عرف محكم
وقانون منظم يقف الخلق جميعا حراسا عليه .

المرأة بين الأبوة والأمومة والإنسانية

حين تستقر التريزة في وضعها الطبيعي وتقف عند حدودها وتوصد أبواب القوضى، فإن المرأة تستقر في مكانها الطبيعي في المجتمع، إنسانة ذات رسالة وهدف، لا مجرد أنثى ذات فتة وجمال.

وسينتدّ متعلّ مشكلات مقدّمة ويقطع جلد دائر، حول قضايا المرأة ووضعها في المجتمع.

وواجبنا هنا أن نشهد - بعد الذي عرضناه في موضوع التريزة - إلى تصفية المرأة في المجتمع وعرض جانبها للوضوح؟ وعزلها عما خلط بها من علاقات التريزة ونوازعها.

وحين نضع المسألة على هذا النحو، وتعرف للمرأة المسئلة حقيقة ما يدور حولها، وجانب العدل والمصلحة في قضاياها، فإنها تنصرف إلى أداء واجبها، وتستيقظ لأعبائها، وتولى وجهها من الذين يطغرون باسمها ويستغلون قضاياها. فيوقعونها في الحرج ويتوهونها في الضلال.

ونحن نعلم - من حقيقة - أن المرأة المسئلة في كثير من المجتمعات ضحية يخذلها الذين يحكمون باسمها وينصبون أنفسهم أوصياء عليها.. وهي باتسة شقية تلث دائما وخلقها صيحات الدعاة الساكرين، الذين يفاجئونها كل يوم بمجديد تضطر راخمة إلى الانصياع له حتى تمسوز الرضا، ولا تنكس إلى الرجعية والمجود!!

وهي في استجابتها لهذه الصيحات والدموات مرهقة مضطربة، تأثم لاهنته لائتالك ولا تيق!

إن وضع للراءة في المجمع ، وقضية للمساواة وعمل للراءة ، وموقف للراءة من .
مشكلات المجمع ، ذلك وما يتصل به هو موضوع البحث في هذا الفصل الثاني .
نرجو به أن توضح الحقيقة قضى الضلالات وتمحق الشبهات ، التي يروجها
للقنوفون ومجادل بهامن لا يعرفون روح الإسلام ولا يقدرّون فضله في تحقيق التوازن
وهداية للبشر التي هي أقوم .

وَضْعُ الْمَرْأَةِ فِي الْمَجْتَمَعِ (*)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ . وَبَيْنَهُمْ مَوَارِثًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ^(١) .

• • •

كلمات هذه الآية وتدبرت معانيها ، شردت عن طويلا في تاريخ المرأة على اختلاف المصور .

إن أجيالا كثيرة انحرقت بالمرأة ، وهطلت كفايتها ، وأخلت رسائلها ، وجعلتها في الحياة من سقط للتعاطف .. !

وإن بعض المجتمعات في أجيال مخطئة قد نظرت إلى المرأة نظرات شاع فيها ، والنظرة والجليل ، واتسمت بالأنحطاط واليهبوط .

ويتهنى في التفكير إلى مشاعر الأسف والرحمة للمرأة المقترى عليها ، للتنصبة الحقوق ، المساوية الإرادة ، في كل مجتمع شاع فيه الطغيان وسادته الجهالة .

ثم أنظر بعد ذلك إلى أوضاع النساء للسلامات في بعض المجتمعات ومطالبهن في العصر الحديث . هصر العدالة والنور .. فأرى عجبا ..

إن المرأة المقترى عليها .. تريد أن تصبح ظالة مقترية . .

(*) لا يعتبر هذا تناولاً شاملاً لموضوع المرأة في الإسلام وإنما هو إشارة عابرة اقتضاهما العلم . ويراجع فصل (الرأء) في كتابنا المجتمع الإسلامي للؤلف .
(١) سورة النساء آية ١٠ .

تفتى على الاسلام الذى أخرجهما من الظلمات إلى النور .. فظلم من
أحكامه .. وتشكو من شرائعه .. وتأنى عن توجيهه وهداه .. وتتعرف إلى
توجيه أهداه وتسلك سبيلهم .. وهم يخرجونها من النور إلى الظلمات ، ويذهبون
بها إلى المضلات واللتاهات .
فإذا تقم المرأة من الإسلام .
وماذا ترجون أهداه !

• • •

أما أن المرأة ظلمت منذ فجر التاريخ فى أجيال عظيمة وأقطار كثيرة .. فذلك
واقع فى التاريخ الإنسانى يؤسف له ..
ولكن المرأة ما ظلمت إلا فى ظلال الجور والكفران والإلحاد والإباحية .
فى كل مجتمع أظلمت نواحيه واضطربت أوضاعه فاندثت إلى فى ظلال الشرك
والوثنية .. !

« وإذا بشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم
من سوء ما ينشربه ، أمسكه على عون أم يدعنه فى الزنا ، ألا ساء
ما يحكمون » (١) .

وما انتصف لها إلا التوحيد والإيمان : « وإذا للودعة سُئلت ، بأى ذنب
قُلت ا » (٢) .

وما صلبت حقها إلا حين شملت الجاهلية الروحية والعقلية والخلقية بعض
مجمعات الشرق والغرب مما صلبه التاريخ ..

الإلحاد والتجور هو الجو الذي اعتدى فيه على حقوق النساء ، وهيض جناحين
واقفين في الظلمات والأكدار .

والإيمان واليقين والاستقامة هو الجو الذي صلح فيه أمر النساء وأصبح لمن
يحائب الرجل مكان النصفة والعدل والإحسان .

والآية التي صدرنا بها هذا الفصل تصور المجمعات البشرية ، هذا التصوير
المعادل الواضح للسقيم .. نفس واحدة ، هي نفس آدم ، خلق الله من طينتها
وخصائصها نفساً أخرى هي زوجة حواء ، ومن هذين النفسين قهرت الأجيال
والشعوب .. رجالاً ونساء يؤدي كل دوره ويقوم بواجبه الذي رشحه له فطرته
.. واقضته خصائصه .. بلا نظام ولا تناكر ولا جحود ..

لرجل واجب يحسن القيام به والمرأة مجال تبرع فيه . وماعدا ذلك فهناك
أمور عامة يشترك فيها الجنسان أصلاً ، ويقدم فيها أصحاب الكفاءة
.. والسبق منهما ..

وهذا مجال نظرة الإسلام لوضع المرأة في المجتمع ..

فمرأة البيت والأمومة ، والمرجل السكند والصراع ..

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ،
وعلى للولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » (١) .

وفيما وراء ذلك .. فالدين تكليف للرجال والنساء على قدم المساواة :

« إن للسليين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين
والصادات ، والصابرين والصابرات ، والخالصين والخالصات : المصدقين
والتصدقات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والخالطين والخالطات : إذا كره

الله كثيراً واقدا كرات ، أعدَّ اللهُ لم منفرة وأجرًا عظيماً^(١) .

وقد نزلت هذه الآية ، حين سألت إحدى النساء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال الرجال يذكرون في القرآن ولا تذكر ؟

والعمل الصالح والسلوك النبل والكفاح من أجل العقيدة ، ميدان مفتوح بالرجال والنساء معاً :

« فاستجابَ لهم ربهم أني أضعُ عملَ عاملٍ منكم من ذكر أو أنثى ، بعضهم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأزواي سبيلًا وقالوا . وقتلوا ، لا كفرن منهم شئ^(٢) ولأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله ، والله عنده حسنُ الثواب^(٣) .

واللأسولية الاجتماعية في المجتمع المسلم ملقاة على عاتق الرجال والنساء ، يلزم الجميع رعيتها وحسن القيام بها :

« وللذين يؤمنون وللذين آمنوا وأولياء بعض ، يأمرون بالعرف ويهتدون عن المنكر . ويقومون الصلاة . ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرهم الله^(٤) ، إن الله عزيز حكيم^(٥) .

وللمرأة أهليتها والتزاماتها للادية كما للرجل :

« الرجال نصيبٌ مما اكتسبوا ، والنساء نصيبٌ مما اكتسبن^(٦) .

وقد اشتركت المرأة للسلة مع الرجل في تحمل أعباء المجتمع المسلم والقيام

(١) سورة الأحزاب ٣٥

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٣) سورة التوبة ٧١ .

(٤) سورة النساء ٣٢ .

بواجباته .. اشتركت في الهجرة .. وفي الجهاد .. وفي الخدمة العامة .. وفي
التصليم .. وكان لها جهادها في حل المشكلات والأزمات ..
فليس الإسلام هو الذي يرى إقصاء المرأة عن الحياة ، أو عزلها في أضيق
نطاق ، أو سلبها خصائص الإنسانية والأهلية لتعمل الأعباء ..

يل « النساء شقائق الرجال » (١) كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم . وليس
قصر واجب المرأة على البيت والأومة ظلالا لها ، أو تعطيلًا لواجبها . فالحياة تخصص
ولا بد من تقسيم أعباء الحياة بين الرجال والنساء بما يحسنه كل منهما .

وقد خلقت المرأة لتقوم بدور خطير في المجتمع ، وهو أن تكون شريكة
الرجل في حفظ أمانة الحياة ، ورعاية الأجيال ، وعجلها الحق هو الأسرة ، حيث
تمثل نواتها الهامة وروحها الموجهة ..

إنها هناك في أفق غاية وأكرم حمل ، حيث تصنع الطقوة وتصد الرجوة
وتشيع في بينها الحب والصنان ..

إن متعلق القطرة الصادق هو الذي يحدد واجب كل من المرأة والرجل على
نحو ما يرى الإسلام .

وها هو الترب الذي بدأ أن مضى في الشوط إلى نهايته ، وأخرج المرأة من
البيت لتسل في السكائب والمصانع والأسواق ، عاد عتلاؤه بيدون الأسى
والحسرة على ما أصاب الأسرة والمجتمع من وهن واضطراب وانحلال بسبب
غيباب المرأة عن البيت وضمف اهتمامها به وعاطفتها به ألفتهم ما قرره مؤتمر الجرمية

(١) رويته أبو داود والترمذي .

الذى عقد في لندن هذا العام^(١) لبحث أسباب انتشار الجرائم وجاء في بعض قراراته :

« إنه إذا كان من المتفق عليه أن الأدية تسهم في رفع مستوى الأولاد ، وأن شغل أوقات الفراغ بطريقة سليمة ، من شأنه أن يسيل على تهذيب الشباب ، وأن للدرسة كذلك ودور الحضانة تقوم بدور كبير في هذه الناحية إلا أن الأم هي ركن الأسرة الإيجابي .. وهي التي يتوقف عليها سعادة المجتمع أو تنازله .

فإذا تميت المرأة من رعاية الجيل الذي يكون هذا المجتمع ، فإن السعادة لا بد أن تقارن هذا المجتمع » ..

وقال المؤتمر : إن لال الذي تجنيه للمرأة من عملها لتفقه على أولادها لا يكفي من ناحية لتربية الأولاد ، فضلاً عن الفراغ الكبير الذي يتركه خلو المنزل من الأم ، وهي ركن الأسرة الإيجابي .

وكل ما سمح به المجتمع للمرأة أن زاوله من عمل أن تقوم بعمل لا يستطيع أن يقوم به الرجل ، قياماً بحق المجتمع ، ولا يكون هدفها منه هو الحصول على المال كأن تقوم بدور للمرضى أو طيبة أمراض النساء .

* * *

تقد كان التوسع في إخراج المرأة من البيت بلا هدف إلا مجرد التطوير للتبريد على القفلة الكاره للحقيقة ، نكبة أصابت للمرأة والأسرة في الصميم .. كما أصابت المجتمع كله .

(١) كان ذلك في سنة ١٩٦٠ م

إن المرأة في كثير من البيئات اللادية للعاصرة تعيش على حساب أنوثتها
وامتهان عواطفها .

وإن حظ المرأة من المكسب ، في هذه البيئات ومن يمدى نجاحها في إبراز
جمالها وعرض قوتها .. ولا بد من الأصباغ اللافتة ، والألوان الزاهية ،
والأزياء القاضية .

وهذه ضمة وليلة هذا العصر .. تنض من قدر للمرأة ونحيلها إلى مهرجة
تستجلب إجابات الفجرة وتخلق أهواءهم ..

« إن المرأة إنسان كريم ، وأسمى ما فيها إنسانيتها الرفيعة وقد قضت سنة الله
أن تجعل كرامتها منوطة برعاية أمانتها الخاصة .. وأن تجعل سعادتها منوطة بأداء
وظائف تلك الأمانات : أما ، وزوجة ، وربة بيت .. وبهذا تهتف غريزة
المرأة ، ويشهد وجدانها الأزلي العيق .. فإذا بنيتها مكنتها في الحياة على هذا
الأساس ، وقررتها لحقوقها على هذا النهج ، وفرت كرامتها ، وسبت سعادتها
وهناكها .

فإن كانت أما في طاعتها رضوان الله ، وتحت أقدامها الجنة .. وإن كانت
زوجة صالحة فهي أفضل ذخير يستفيد المرء من دنياه بعد تقوى الله !

فإذا وفرت لها حضارة الرقيق وأيسوا في التخلصة من كل ذلك ؟

إن عمل المرأة في البيت تسوس زوجها ، وتربي طفلها ، وتدير معاش أسرتها
— سعادة ما يمنحها سعادة ، وهو يدب ليس بالأمر الذي يقل منزلة عن وقوفها
في محل تجاري تبيع الملابس والمطهر ، أو تلف المبيعات في الورق ، أو تقبض
أثمانها أمام الخزنة !!

إن المرأة في البيت تصنع للطفل رجوله ، وتخلق العمل الناجح ، وتثقف على
ما يتطلب الحياة السكرية من فضائل ...

فمن يصحبه ذلك إذا تركته للضلم أو لسواهم وضعت إلى عملها في الخارج؟
وهي في البيت المصدر الروحي لإشباع الرحمة والمودة على زوجها — كما ورد
في القرآن الكريم — وهي بهذه المثابة الهاد الذي يلقى فيه الحنان والهدى والطف
والحكمة — فمن له إذا خرجت وعادت آخر النهار — مثله — مهودة القوى
وخيفة النفس بما لقيت من عناء يومها ؟

ليس إشباع الرحمة والمودة في البيت بالأمر الممين الذي يصوره المحرمون
المحبوبون عن حقائق الأمور ، فإن الدنيا كلها بما فيها من ذهب وثروة ومتاع ..
لا تنافى في ميزان الحق مثقال ذرة ، إذا هي خلت من المودة والرحمة ..
ومن سرها في البيت أنها جهاز روحي عجيب ، يلقى في روح الرجل أسرار
القوة ومعاني الثقة بالنفس ..

وإن كلمة واحدة منها — وهو يشكو جور الزمان أو منافسة الأقران ، أو
مكائد الرجال — كافية أن تدمر بطاقات عجيبة من الحمة والأمل والثقة بالنفس ،
فإذا هو كأنه خلق جديد وبناء خير الذي كان يوشك أن ينهار .. إن المرأة
تستطيع أن تخلق الرجل كل يوم مرة أو مرات ..

وهي قيامها على الهدى ، ورعاية طفولة ولدها ، إنما تصنع مستقبل وطنها ،
ولسنا ندرى عملا للمرأة في الحياة يقوى في شرفه ، وسمو غايته هذا
العمل (١) ... »

إن الوضع الطبيعي للمرأة في المجتمع هو ما رآه لها الإسلام ..
أن تحمل في الحياة نصف السبب وتسد في المجتمع الثغرات ، وتبقى فيه
علا لا يفتى الرجل .

(١) المرأة بين البيت والمجتمع للاستاذ الهادي الخولي . ١٣٣٠ - ١٣٤

لا أن تحاول الخروج على القطرة ، وتترك مكانها الخطير في الأسرة خالياً ،
تخبر في المجتمع الخال والاضطراب ..

وإن الإسلام لا يحظر عليها العمل ، حين تضطر إليه لكفاية حاجتها
أو لدخلها أو الإفق على أسرته حين لا يكون لها عائل . سئل يطالبها بالعمل .
حين يحتاج إليها المجتمع ويطلب منها العون ..

ولكنه يكره لها أن تغل برسالها الأصلية ، رسالة الأسرة والطفل ،
وتسكن ما لا حاجة لها به ، ثم لا ترى ضوابط الإسلام في الخلق ،
والسلوك !

قضية المساواة

كما شغلت به المرأة العربية المعاصرة ، تلك القضية العجيبة التي دار حولها الحديث طويلا واخطفت الآراء : قضية المساواة ..
 لقد زعمت أنها مضمومة الحق ، مطوية الإرادة ، مضية الحقوق .. والذي عطلها هو الرجل ، أو الدين الذي لعان عليها الرجل ، حين أعطاه ما لم يطلبها ، ولم يسأله عنها في كل الحقوق ..

فلماذا تكون للقراءة للرجل دون المرأة .. ؟ الرجل قوامون على العالم ؟

ولماذا يملك الرجل حق الطلاق ولا تملك المرأة ..
 ولماذا ينال الرجل من اليراث نصف ما تناله المرأة .. ؟
 ولماذا تعتبر شهادة المرأة في مقام شهادة رجل واحد ؟
 .. فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ؟

ثم لماذا !!



تلك خلاصة قضية المساواة التي عطلت من أجلها التوثيرات وصدرت المصحف وتكونت الجبهات ، وارتقت الميخنة كلما خلا الجو واتضح المجال ..

فهل هي قضية تستهدف العدل وتحمي الحق ، أم هي شغب يفتق وراءه الجاهل ويستره عتياً ويسعى إلى ضلال ؟

من للشاهد أن زعيمات هذه الحركة من سيدات المجتمع الرقي من اللائي لم يكنن بآل ولم يشرن بحرمان .. فأنجهن إلى ملء الفراغ لهذه القضايا التي تجلب لمن الشهرة .

ولكن إحقاق الحق وإنصافاً لآراء الزعيمات المناضلات ، فأخذ الأمر جدياً وناقشه من جانب للوضع ، ترى جانب الحق في قضية المساواة ونكشف ما وراءها للمؤمنات من نساء الإسلام ..



أول مطالب للمساواة ..

لماذا يحمل الإسلام للرجل القوامة في الأسرة ، حين يقول القرآن : «الرجل هوأمن على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أختاروا من أموالهم» . (١)

والجواب : أن الإسلام لم يفرض جديداً ولم ينزع مأثوماً .

قطرة للراءة منذ فجر التاريخ لا تنشر بالأمن إلا بجانب الرجل ، وتكمل إليه دائماً حمايتها وحماية الأولاد ، وتترك له الكدح والسعي والفضل وتحمل الأعباء .

وحق اليوم ما زالت للراءة تريد من الرجل ذلك ، لأن هذه طبيائع الأشياء . فقد خلق الرجل قوى البدن قوى العضلات ، متحصلاً للذكورة مقبلاً للصواب وخلق للراءة ضيقة البدن رقيقة الشعور قليلة التحمل والنساء .

فأى ذنب جناه الإسلام حين اعترف بواقع . وصور الحقيقة وجعل الرجال قوامين على النساء ؟ !

هل تترد المرأة الماصرة أن تصبح هي القوامه . ١٩

إن القوامه معناها الكفاءة في تحمل والتدرة على النهوض بالقبه ، والقيام بالواجب ، فهي تكليف لا تشريف ، تكليف يجعله التسادر وليست استعدادا ولا هوى ..

وقد كان المهرجون يزعمون أن قوامه الرجل على المرأة إنما كانت حين كان الرجل يحكم في الإنتاج ويستبد بالسب ، أما الآن قد أصبحت المرأة تسب وتكسب كالرجل ، فلامنى قوامته عليها ..

ولكن واقع العالم انزوى كذب هذا الظن ، قد اكتسبت المرأة هناك واستقلت ، ومع ذلك لا تزال تطلعن لقيادة الرجل وقوامته ، وتسل على أن تعيش في حى هذه القوامه ، ولا تنشر بالطمأنينة والأمن إلا في ظلالها ..
قد صدق الإسلام وكذب القديرون ..

وثانيا الشبهات .

لماذا يملك الرجل حق الطلاق دون المرأة ؟

والجواب : أن إنهاء العلاقة الزوجية وحلم البيت ، يجب أن يكون في يد من يستطيع التفكير المتعدد ووزن الأمور بميزان سليم ، لامن تلب عليه العاطفه وينفل عن المواقب ولا يجعل الشبهات ..

والمرأة متقلبه لا تستقر عاطفتها على حال ، وأحاسيسها سرية التأثير ، وهي قد تقبل اليوم ما رفضته بالأس ، وترفض غدا ما قبلته اليوم . فأى نكبة على الجميع حين يحمل زمام الأسرة في الأيدى الناعمة ، التي لا تحسن التفكير وإدراك الحقائق ، بل تأثر بالمظاهر والأشكال ..

على أن الإسلام قد أعطى للمرأة سمة من الأمر ، فأبلغ لما أن تشترط في عقد الزواج أن تكون عصمتها بيدها ، فتمنع منها الزواج حين يمسه الضرر ولا تحصل الأذى . كما أبلغ لما أن تعتدى نفسها حين تريد ، فتد على زوجها صدقه وتقطع ما بينها وبينه من رباط .

• • •

أما لماذا فرض الإسلام للرجل من اليراث ضعف ما فرض للمرأة ..
فهذه أسبابه الاجتماعية السائدة فإن الرجل يحصل من الثبات المالية مالا تحصله المرأة ، إذ هو مطالب بالإعاق على أهله ، يحصل لأعيانهم ، بينما لا تطالب المرأة بذلك ..

وليس ذلك لسوء تقدير الإسلام للمرأة ، أو نظره إليها على أنها نصف الرجل بل تلك عدالة في القسمة ، وإعانة للرجال على مواجهة تبعات الحياة . هذا إلى أن ثقة المرأة واجبة على الرجل أبا أو زوجة أو أخا ، وليس عليها أن تتفق على أحد ..

وكذلك الشأن في اعتبار شهادة الرأيتين بشهادة رجل ، فرجع ذلك إلى ما يثبت الآلية في قوله سبحانه .

« فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ، أَنْ تَحْضُرَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ^(١) »

وليس مرد ذلك إلى أن للمرأة لا تستطيع وحدها أن تحصل أعيان الشهادة فذلك أمر يسير ، يمكن للمرأة كما يمكن للرجل سواء بسواء ، ولكن قد

نأخذ المرأة رقة القلب ومشاعر الرحمة ، فنصرف في شهادتها ونحفي الحقيقة ، فإذا اجتمعت معها امرأة أخرى انضمت الحقيقة وأمن الضلال .

وهذا لا ينبغي للفتنة بالرجال دون النساء ، وإنما هذا اعتبار لما ركب في الرجل من الصلابة والشجاعة والتحمل والقدرة على الخروج من غطاء العاطفة حتى لقد كان للرجل المسلم يقتل أباه أو أخاه أو ابنه المشركين .. فهل تستطيع المرأة ذلك وهل يمكنها أن تصبر من سلطان العاطفة ، وهي التي ترق أمام الأحرار وتهلع أمام الشدائد . وليس ذلك حياً فيها وإنما هي فطرتها الأصلية ..

فلابد من احترام القطرة والنزول على حكمها من عتاء الجدال بالباطل والناقصة بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير .

• • •

بقيت مسألة الحقوق السياسية ..

وقد كنا - قمرط ما نراه من إجحاف النساء بهذه الحقوق - نقصد أن ضرورة لمن ، وأن حياتهن لا تنضم إلا بها ، أو أن لديهن من المواهب والكفايات ما يردن به خدمة الأمة وإسعاد المجتمع ..

حتى حصلت النساء في كثير من المجتمعات الغربية على حقوقهن السياسية فأصبح لمن الاشتراك في الانتخابات ، لجالس الشورى والترشيح لها ..

فإذا فلن يبد هذا الظفر والاعتصار ؟

لقد تكشفت الضجة عن لا شيء ، وظهر أن الدعوة للجنة كانت من أجل الظهور ، لا من أجل الكفاح ولا في سبيل عقيدة أو مبدأ ..

• • •

فذا كان وراء قضية المساواة إذن ؟

لقد كان من ورائها تيارات خبيثة ، تستهدف قلب أوضاع المرأة للسلة ، وتحولها إلى مجرد مسخ شائه ، تهرف بما لا تعرف ، وتكلم بما لا تفهم ، وتندفع دون تروي ولا فهم ، ودون علم ولا برهان !

من أجل ذلك كنا نسحب من سلوك زعيمات قضية المساواة في مجتمعاتنا .. ١
لقد كن يفتنين قضية الأزواء والاختلاط الفوضوي ، كما يفتنين قضية المساواة
فأى علاقة بين حقوق المرأة وبين الزنى الفاضح والسلوك المأبث .. ١٢
هل هذا أيضا من حقوقها التي اختصها الرجل الظالم ، أو الدين الذي شجع
الرجل على ذلك .. ١١

لقد كانت تيارات البعث وراء قضية المساواة ومطالب المرأة ..
ومن اللؤسف أن تقرر أن كثيرا من مظاهر وأنشطة الحركة النسائية مجرد
تقليد ، وأسماء بلا حقائق ولا غايات جادة .
والألو كانت تلك الحركة تمثل نساء العروبة أو نساء الإسلام ، لما انحصرت
حتى الآن رغم السنين الطويلة التي عاشتها ، على هذا النطاق الضيق الذي يمثل
« سيدات المجتمع » أو نساء « الطبقة الراقية » التي تقبل على هذه الحركة كلون
من شغل الفراغ ، أو استكمالاً للظواهر .

إن ملايين النساء للسيدات في القرى يشن كادحات صابرات ، يقمن بواجب
عظيم .. يعملن في صمت ، ويكافحن في بطوة ، بعيدا عن الضجائر والأضواء ..
ولا يملكن القرم التي تملكها الزعيمات الناضلات للطالبات بالعدل والمساواة .. ١١

تَعْلِيمُ الْمَرْأَةِ وَعَمَلُهَا

للرأة - كما برأها الإسلام - إنسان له خصائصه النفسية ومشاعره الطبيعية .
ومن هنا فإن لما رسالتها التي تحقق مع تلك الخصائص ..

فالأموءة ورعاية الأطفء وإدارة البيت ، وتهيئة الحياة للطمنئة للزوج ، وصنع
الطفولة السعيدة للوجة ، كل هذه بعض وظائف للرأة الحقيقية ، التي جهزت لها
ووهبت خصائصها ..

ويضرع على ذلك من وجهة نظر الإسلام شيآن :

أولا : أن يرعى في تنشئة الفتاة إعدادها للقيام بهذه الرسالة ، لا الانحراف
عنها ..

ثانياً : لا بد من تهيئة السبل للرأة للقيام بدورها الطبيعي ، لا جرءا إلى
مباحات نفسى فيها طبيعتها وتجاهل فطرتها ، مما ينتج عنه شقاؤها وشقاء المجتمع ..

• • •

وعلى هذا الأساس ينظر الإسلام نظرة متديزة إلى تعليم للرأة ، وإلى
اشتغالها بالأعمال :

أما التعلیم .. فبالإضافة إلى القدر الضرورى للشرك بين كل رجل وامرأة ،
وهو معرفة حقائق الدين وأهوائه ، فالأجدد بالرأة الإقبال على تعلم ما ييسرها على
أعباء الأمومة وواجبات الأسرة ، من تدبير المنزل ورعاية العفل وما يتصل بذلك
من شئون صبية واقتصادية واجتماعية ، وثقافية .

ثم لا شيء يحول بين الفتاة ولارتياق ما تشاء من ميادين العلوم والآداب .

..والثقافت . عند كانت عائشة رضى الله عنها زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ،
تقوى بعض الرجال في رواية الشر ومعرفة الأنساب .

على أن لا يكون ذلك صارفاً لما عن واجبها الأصل ، ومهمتها التي تنادى
بها القطرة ..

فما حاجة الفتاة إلى أن يفرض عليها دراسة الكثير من العلوم والفنون وغير
ذلك من ألوان العلم التجريبي ، بينما لا نحن من أعمال البيت وفنون
الأسرة شيئاً ؟!

إن هذا منافق لقطرتها ، بعيد عن حاجتها ، لا يرضى نزلتها ولا يستجيب
لحاجاتها ..

ينطق القطرة يقضى . بأن سبيل كل فتاة ، مثقفة أو غير مثقفة ، هو البيت
والزواج ..

فلم لا تجهز الفتاة لمهمتها الطبيعية ، ولا تمد لواجبها القطري ؟ ..
فلذا وجد من النساء من ترغب في دراسة العلوم التجريبية والتخصص فيها ،
جنوى وشأنها لا تصدّ عن ذلك .. ولكن لابد من تهيئة الجو الصالح التي من
القوى الجيد من البحث ، الذي يتوافر فيه الإقبال على العلم والانصراف
حصاً مواء .

• • •

وثيق مسألة العمل ..

هل تسأل المرأة بعد أن تعلم ؟ ..

وقد انتهينا — فيما سبق — إلى أن فطرة الحياة تقضى بانصراف المرأة إلى
الأسرة والبيت ، فذلك هو الجبال الطبيعي الذي جهزت له وصغت وسائله .

فالأقرب إلى القطرة والأولى بالاعتبار ، أنه ليس للمرأة أن تخرج إلى
ساحات العمل للرحقة ، وتضل عن مهمتها التي لا يحسنها غيرها . فذلك هروب
من الميدان ونكول عن الواجب ، فضلاً عن منافاته للقطرة وبجائته
لطبائع الأشياء .

ولكن حين نحتاج المرأة حاجة حقيقية إلى العمل ، إذا لم تجد عائلاً قادراً ،
أباً ، أو زوجاً ، أو أخاً ، أو ابناً ، أو حين يحتاج المجتمع إلى جهودها في الميادين
التي لا يصلح فيها سواها .. فليس في العمل كراهة ولا بأس . بل هو محمى مطلوب
وقد كانت النساء في صدر الإسلام يتاجرن ويزارعن ، ويمارسن الأعمال الثلاثة
لمن كاننزل والتمسج . وما هي المرأة في الريف تعمل في البيت وفي الحقل دون
فضاضة ولا حرج .

والحق أن للمشكلة ليست في العمل ذاته - سواء كان من حاجة أو غير
حاجة - بقدر ما هي في ملائمة العمل وأوضاعه .

فإزى القاضح ، والاختلاط القسوى ، والصداقات للريبة ، وغير ذلك من
علاقات العمل وصلاته ، كل ذلك يكون مشكلة معقدة ، تحيط اشتغال المرأة بمحور
مضطرب يفتر إلى إصلاح . فإذا احتاجت المرأة إلى أن تعمل وتكتسب فست
حاجتها وانكفت ، فما حاجتها إلى أن تدير الفتنة وتنفق الأقطار ؟

وكذلك ما حاجتها إلى الصلات العائلة والصداقات للريبة ؟

إن من قواعد الإسلام أن « الضرورة تقدر بقدرها » ومعنى ذلك أنه لا بد
من فصل القدر الضروري من العمل عما لا ضرورة فيه .

وأيضاً لا بد من فصل ضرورات العمل عما لا حاجة إليه .

ولو أن كثراً من التفتات المشغلات بالأعمال بلا ضرورة ولا احتياج
عُثِلن لماذا تعملن ؟

لنا وجدنا جواباً إلا أنهم يسارن تقاليد العصر .

إن اشتغال المرأة وغلبتها عن الأسرة بلا حاجة اقتصادية أو ضرورة ماسة ،
جناية على الأسرة وجناية على المرأة ذاتها .

فكثيراً ما تنجبه الفتاة نحو العمل وتفرغ له ، ثم ترجع بعد فوات الأوان
تبعثى الزوج والبيت ، وتغلبها القلق المدمر والشقاء اللاذع .
وتلك ظاهرة اجتماعية واضحة .

إن القلق النفسى يصعب بالفتيات الناملات يحشون أن تضع النعمة ويقال
للمستقبل ..

إن الفتاة الناملة فى الغرب تنطق فى علاقاتها كما تشاء . بلا حساب ، بحكم
انحلال الجميع وفوضاه . أما الفتاة الناملة فى الشرق فهى مقلدة تريد أن تجمع بين
التقليد والاحتفاظ بدورها القديم بحكم ما بقى فى الجميع من ضوابط وحدود .
فهى أشقى من فتاة الغرب .. ولا ضرورة تحملها على هذا الشقاء .

فلواقع أن أوضاع المرأة فى الغرب تختلف كثيراً عن أوضاع المرأة
العربية ..

فى الشرق يحمل الرجال أعباء النساء ببطولة وتضحية ، حتى أعباء الناملات
منهن . فقد تسلم للمرأة وتكتسب ، ومع ذلك تبقى فى كفاة الأب أو الأخ
أو الزوج ، وتحفظ بكسبها لزينتها وترقيها . أما نساء الغرب فهن . مضطرات فى
التألب لئلا من أجل الثروت ، وهن يمارسن أعمالاً شاقة مرهقة ، ظاهرة هناك
قد تسلم سائمة لقطارات أو حانة فى المظلات ! أو غير ذلك من الأعمال المضنية ،
وأمل الفتاة هناك أن تجد زوجاً يقبها مبرارة السكج ويكفيها أعباء الحياة ! ..
فالتقليد الزور والمحاكاة الكاذبة هى التى تشر بيننا الأفكار البعيدة

التي نعم ضرورة العمل لسكل فاة ، ولو ترتب على ذلك شقاء للراة ذاتها ، وشقاء
الجمتمع كله ..

• • •

على أن هناك أعمالا مزرية لا ينبغي أن يحوط فيها للراة منها بقت بها
بالفاقة والاحتياج .

وهذه الأعمال أبواب فاجرة تصحها الفساق والمخاطئون لإرضاء شهواتهم مستغلين
تغير الأوضاع واختلال القيم ..

فلا ينبغي أن تعمل الفتاة « سكرتيرة خاصة » لرجل منها كانت مكاته ا
وأول ما يشترطه فيها كما نرى أن تكون جميلة ذات مظهر حسن .

فإن ذلك لو ن فوضى من ألوان الرقيق لا ينبغي لامراة تعرف معنى الإنسانية
أن تقبله منها كان الأجر الذى تناله ..

كما لا يجوز أن تعمل الفتاة « مضيقة » فى ملهى أو مرقص !!

وغير ذلك من الأسماء الزورة التى تخفى وراءها كثيرا من الجرائم
البشعة .

ولا أن تهدر كرامتها وإنسانيتها فضل راقصة أو تنخرط فى سلك التمن
الجنى السافر !

إن الراة فى هذا كله تمسح إنسانيتها وتكتسب من طريق ذىء .. لو كان
الذائع لها مجرد الكسب والقوت فلن تضيق الحياة من حمل شرف يعنى للراة
القوت ولا يسلبها الشاف والحياة ..

ولكن المستغلين المدامين يورحون الفتاة بهذه الأعمال ، لتضلل عن كل شيء .
وتقتزل من كل قيمة . .

ولا بد من حماية للمرأة المسلمة من هذا الاستغلال البشع ، للوث بتجارة الجسد .
المهادف إلى الهدم والإفساد .

أولى بالمرأة المسلمة أن تحافظ على إنسانيتها ، وتدافع عن قيمتها ، ولا تخدني إلى
مجرد الأنوثة ، ولا تكسب من هذا الطريق ، وأن يبينها المجتمع على ذلك بما يضعه
من ضوابط وحدود .

المرأة ومشكلات المجتمع

لا بد للمرأة حين تمس بإنسانيتها وتصرف عن الضاعة والتقليد، أن تشارك في مسئوليات المجتمع التي تمس فيه، ولا تمش على هامشه، الزينة والذخ ..

إن لنساء مشكلات اجتماعية بارزة تستلج النساء المثقات والوحيات، الإسهام في حلها، وتعقيد ويلاتها على المجتمع ..

فن للتوقف أن لا يوضح دور المرأة في الخلية العائلية الآن إذا سوى بعض الجهود التي تبذل عليها التقليد أو حب الظهور ..

أمامنا مشكلة الرض بشئ جوانها وآثارها ..

ومأساة الطفولة للشردة التي تمد وصمة للمجتمع كله ..

ومشكلة الفقر والحاجة والجز ..

والأمية الناشئة بين الرجال والنساء ..

ولهذه المشكلات الكبرى فروع وانكسارات وتصيلات تعرف عند مجملها واكتناه حقائقها ..

فإذا فلت المرأة العربية المثقفة الطالبة بالحرية والساورة ١٩

إن المرأة العربية ما زالت متصلة في مسائل المحافظة على نفسها ورفاهية، وما زالت

جائعة بالهدايات التي جدت على حياة الأسرة في هذا العصر .. فهل تزال المثقات

إلى القرى تبتعد في بيوتهم من الأزدن واجتهدت نحو الأم العربية القاضية ٢٠

إن المرأة تستطيع أن تشجع في المجتمع الأمن والاعتماد حين تتخذ مواضع الحاجة والضعف ، وتصل من أجل العائين واليتامى . . .
وهي لن تستطيع ذلك إلا إذا تملكها فكرة أقوى من البسطة والتقليد ، وشملها الإخلاص الذي لا ينبع إلا من عقيدة عادية نحو العمل والإصلاح

. . .

إن المرأة المسلمة قد أسهمت في الأجيال الواضحة ، بتصويب وانفراد في ترقية المجتمع وتخليص آلامه .

قد أسهمت بتصويب في الجهاد في سبيل الله وهو ذروة العمل الصالح ، في الإحاطة ، والتأريض ، والتحميس .

وفي تاريخ صدر الإسلام من ذلك الكثير - وهذا بعض ما رواه البخاري :

عن ثعلبة بن أبي مالك أن عمر رضي الله عنه قسم مروطا على نساء من نساء المدينة ، فبقي مروط جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين : أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي - فقال عمر : أم سليط أحق به .

وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عمر : كانت تزفر - أي تحمل - لنا القرب يوم أحد .

وروي البخاري عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سلم ولانها مشركان ،

أرى خلاخيل سوقها ، تسرعن بالقرب على متونها ، ثم تفرغان للآء في أفواه القوم ، ثم ترجان فتلأها ، ثم عيشان ففرغانه في أفواه القوم .

وأسمت بنصيب في الخدمة الاجتماعية الخلعة بالوسائل المدورة .

وشاركت في الحركة العلمية بما قدرت عليه ونبت فيه . وقد كان من النساء من يؤمل عليهن في الأخذ والتأني في علوم الدين والفقه .

وقد نجد من النساء المطلات من رقين إلى مراتب لم يرق إليها كثير من الرجال . ولنفرك عصر الرسول ومجاهدته ، فاريخ النساء فيه مشهور مذكور .. ولكتنا منضرب أمثلة ببعض نساء القرون الوسطى من غير المشهورات .. ففى حرف واحد من حروف معجم « الأعلام » نجد هذه الأمثلة :

زينب بنت عبدالرحمن بن الحسن الجرجاني : قتيبة اشغلت بالحديث وأخذت من جماعة من كبار العلماء رواية وإجازة . عاشت ببغداد بين سنتي ٥٢٤ و ٥٦١ هـ .
واشغل بموتها إسناد عال في الحديث ١١

وزينب بنت مكي بن علي الحراني ، قتيبة لزدحم عليها الطلبة يأخذون منها علوم الدين ، فاشتهرت .. وهي من الصالحات ، توفيت بدمشق سنة ٦٨٨ هـ .

وزينب بنت محمد بن محمد بن أحمد التنزي : شاعرة فاضلة من أهل العلم والصلاح ، قرأت على أبيها وأخيها ، وقالت الشعر الحسن ، توفيت بدمشق سنة ٩٨٠ هـ .

وزينب الرافعية بنت أحمد الإمام الرافعي ، فاضلة صالحة ملكت طريق

أيها في التصوف ! وحفظت القرآن وسمعت الحديث ، وتفقرت ، وأخذ عنها
أولادها ! توفيت في عام صيدة سنة ٨٦٣٠^(١)

فإذا دعي المرأة للسلة في هذا الزمان ، حتى أصبحت بيعة من دينها زاهدة
في تراثه ..

إن الدموع الإباحية والتيارات الخبيثة تريد لها أن تميش في أفق حثير ..
خنة الجسد وإثارة الفريزة . وليس هذا ما نرضاه للنساء للسيدات اللاتي ابتلأ
تاريخهن الزاهر بصور فريدة من التبليل والتضحية والقداء .

إن المرأة في المجتمع الإسلامي العاصر لم تكف يوقوفها عاجزة أمام مشكلات
المجتمع ومضلاته بل أضافت إلى ذلك أن صارت هي مشكلة أخرى إلى جولر
ما ينوء به ذلك المجتمع من رزايا ومضلات ..

وما يشك أحد في أن انحراف المرأة للسلة عن رسالتها في البيت والمجتمع ،
وتخليها عن واجبات الأصيل وتحميها مالا شأن لها به ، أصبح مشكلة خطيرة تفرع
عنها كثير من المتاعب ونشأ عنها العديد من المضاعفات . لقد سبب هذا شقاء
الرجل ، الذي ما عاد يجد في بيته المسادة والسكنى ، والذي ما عاد البيت في نظره
مراحا ومستجبا ، بل قدما للبيت لا يعمل بما كان يحفل به في صائف الزمان .
وسبب هذا شقاء الطقوة التي ما عادت تجد الأمومة العانية المتفرغة التي تقطع في
إخلاص وتقديس لهد البراعم الصغيرة حتى تنفتح عن أزهار ناضرة .

وسبب هذا شقاء المرأة نفسها وناسها . إنها شقية متعبة يائسة بائسة ، وهي
تجد نفسها في طريق موحش لا أمل فيه ولا رجاء .. إنها في نظر نفسها ونظر المجتمع

(١) مراجع كتبه الأعلام للزركلي . وغيره

أنتى غيب ، عليها أن تهرن على هذه الأنوثة ، وتشخذ أسلحتها ، وتجسدد
أشاليها ، وتسلق شق السبل حتى لا تصلف ولا تقطع . فلن ينق منها علم
ولا سرية ولا مال إن هي لم تصبح قاتنة كما يريد لها التقليد ويرضى .. !

وبهذا أصبحت المرأة - كما يقولون - لا تقى أنوثتها أبداً في أى مجال ..
وتنشأ عن اقتجار هذه الداء في أعماق المجتمع ، أن شق المجتمع بهذه الأنوثة للبائنة
للحضرة ، فاختلطت به لاقاته المختلفة وتسربت إلى أكثر مجالاته ..
وفي هذا التمارن سبت المرأة دينها ونجاته . !

وما يقول أحد إن المرأة المحضرة المثقة ، يربطها بالإسلام ربطاً حسي ، أو
تشدداً إليه صلة قوية !

وما للإسلام في حياة هؤلاء النساء أثر يذكر أو توجبه يلحظا أو تعدد وقر
في أذهانهم أنه ما من ضرورة لتدين المرأة ، فالها والدين ، وما لها ولكافيه
القبضة ، وهي لم توجد في هذا العصر إلا الفزينة والتلفز والتمتع !

إنما كان للمرأة شأن بالإسلام حين كانت عربية ، أو حين كانت تصدق
أنها كذلك . أما اليوم فأشأنها بالإسلام وهي أوروبية أو أمريكية لا كيان لها
إلا بهذه النسبة ، ولا قيمة لها إلا بالانصباغ والاختباء !

فإذا فهم المرأة المسلمة اليوم من مثل قول الله سبحانه : « وقل للمؤمنات
يخضعن من أجل الله ورحمة ربهن ، ولا يُبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ،
وليخترن بخبرهن على جيوبهن » .. !

هل فهم العاريات السكاسيات شيئاً من هذا الداء ، وهل هناك أثر لهذا
الخرجيه في هوسهن ؟

وليس ذلك إلا مثلاً لصلة التطوُّمة بين نساء الإسلام وبين حقائق الإسلام !

وأني لمن أن يعرف دينهم أو يتأثرن به ، وقد نشأ في أذهانهم صورة سيئة عنه ، ولم يبع لمن الاتصال به من قريب أو بعيد . .
والحق أن موقف رجال الإسلام والدافعين عنه في هذا الزمان من قضية المرأة موقف سيء . إنهم يكفون بالنسبة على ما وصلت إليه حال المرأة من فساد وهم لم يجهتوا لها ما تعرف به دينها ويعجزها إليه ، من مدارس وؤسسات ومجوز . فأصبحت الفتاة تقضى كل مجال في الدراسات ، إلا مجال دراسة الدين والاتصال به (١) .

لا بد أن تعلم المرأة أنها تستطيع الإسهام في خدمة مجتمعا وتحريف ويلانه ، فلا بد لها من الاتصال القوي بالدين الذي أثر في هذا المجتمع طيلة قرون مضت ، وما زال عاملا مؤثرا في تكوينه .

إن جعلنا بهذا الدين يشق المجتمع ويزيد من بلائه .
فهي حين تفتش طلقها بعيداً عن دينه معزولا عن توجيهه ، تسهم في تكوين جيل منقطع عن تاريخه بعيد عن ماضيه .
رأى جيل ذلك الذي لا يعرف له ديناً ولا تاريخاً ، إلا صورا باهتة هنا وهناك ؟ إنه جيل لا يستقيم به أمر ولا يقوى به بناء .

وهي حين تعيش بعيداً عن توجيه دينها وهداها ، لن تستطيع القيام بواجبها أو أداء رسالتها ، بل هي حينئذ مصدر خطر على هذا المجتمع ، تعيش مقلدة خاضعة لتأثير الغرب وهواه . وبهذا تلوث وتباع وتفقد شخصيتها في السالين .

(١) كتب هذا الكلام منذ عشر سنوات ، وقبل إنشاء المعاهد الأزهرية للفتيات وكلية البنات الإسلامية ، ولستنا ما زال نطمح في أن تصبح نماذج الدراسة فيها أبهى وأعمق في التعريف بمقائق الإسلام .

خاتمة

وجسد ..

تلك هي الخطوط الرئيسية لموقف الإسلام من الفريضة وتوجيهاته في السلوك
لإزادها إله يهدف بها نحو البقاء ويحول بينها وبين الهدم ..
وبذلك يتوازن الفرد ويتوازن المجتمع ، وينصرف الناس إلى دنياهم في يسر
وطمأنينة وأمان .

ولكن شتان بين موقف الإسلام هذا ، وبين موقف القرب الضعيف ..
إنه يتيح الفريضة أن تكاف الحياة وتسددها ، وتشجع في المجتمع مظاهر الفلاح والثراء .
وقد كان مجتمعا للسلام في نجوة من هذا البأس قبل الاستعمار العسكري
والفتن الذي اجتلب به فترة من الزمان .. قبل أن يتسكن حدة القرب ويفسدوه
من التأثير في حقول الذين تملكوا قهرا المجتمع وتوجيهه ..
إنها قصة شائنة تتردد بها الأصداء ..

لا تخلق .. لا ضوابط .. لا حدود .. بل حيث وانطلاق .. إن أصواتنا
شقي تطلق في وقت واحد بهذا النداء المتشابه ، لتؤكد هذه الدعوة وثبت
جذورها في المجتمع .

وأمام هذا يقف بعض علماء الدين والدافسون عنه يحضرون وصرخون كلاما
رأوا الأيدي الجديدة تهدل وتتهير في المجتمع ..

وبهذا الاحتجاج والصراخ ينطق الخطباء ويكتب الكتائب ويلجج المحذرون ..
ولكن المجتمع يحتاج لشئ آخر غير هذا ..

إذا كان أنصار « القوضى القرية » ينسفون كلامهم ، ويحولون لهجتهم ،
ويقدمون أفكارهم زاهية براقة ، فلا أقل من أن يرتب أميلهم في النظام

الإسلامي ، أيضاً حججهم وينسقوا أحاديثهم ، كي تستطيع الصدود في وجه الزيف والخلع .

إن هذا ما سررت بمحاولة في هذا الكتاب .. قد رأيت أن تجميع الكلام عن التنريزة وما يتصل بها بطريقة موضوعية مرتبة ، سوف يكون أدى لانتفاع الناس برأى الإسلام ، وكرامتهم لما يحاوله القسودن .

قد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يتنبأ بالتيب حين كان يقول لأصحابه :-

« ما تركت بدأى فتنة أضر على الرجال من النساء » ^(١) .

وما هو العالم اليوم تحركة التنريزة المنجرة وتحكم في سلوكه وأتباعه ، منذ أشاع الغرب فتنه وإغراءه ، ووضع لها القواعد والبرامج .

ولن يقذ الإنسانية من هذا التذني إلا النظرة الإسلامية التي تضع كل شيء مكانه ، وتتيح للإنسان الحياة المتوازنة للتسكامة ، التي تحقق معنى الإنسانية وترضى أشواق الإنسان .

ومن المسلمين يفتقرون دينهم ويعيشون تحت ظلاله ، ويعجفون من أعدائهم الذين لا يرجون لهم إلا الخبال ، ولا يبنون لهم إلا الضلال .. والله أعلم بأعدائكم ، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ^(٢) .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعه الثانية	٣
تقديم	٥
الفرقة بين الفوضى والنظام:	
غريزة الجنس	١١
كيف لتجيب	١٩
فوضى الفرقة	٢٤
ضبط الفرقة وتوجيهها	٤٩
هل الامرة ضرورية؟	٦٢
ماذا يفعل الشباب؟	٨٥
رأى الإسلام	٩٩
أبواب الفوضى	١١٥
الارباب الفاضحة	١١٩
السينا العابثة	١٢٩
المراخير	١٣٤
مسئولية الإذاعة	١٣٨
الصحافة المتكسبة	١٤٣
المخدرات والمسكرات	١٤٧
أدب الخطيئة	١٥٦
الإختلاط والحب الزائف	١٦١
المرأة بين الانوثة والانسانية	١٦٩
وضع المرأة في المجتمع	١٧٢
قضية المساواة	١٨١
تعليم المرأة وحملها	١٨٧
المرأة ومشكلات المجتمع	١٩٣
خاتمة	١٩٩

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٣/٤٢٩٤

مطبعة حسان
٢٢٤١ شارع البشير

هذا الكتاب :

يهديه مؤلفه الى الشباب المسلم الذى تصوب نحوه السهام ، وتدبر له

المكائد ، والذى يبتغى الاعداء أن يصرفوه عن طريق الاسلام ..

ان مشكلة الغريزة فى العالم الإسلامى المعاصر تتخذ وسيلة لطم

الاسلام فى مبادئه .. والازراء عليه فى توجيهه .. وتشريعه .. ونحن هنا نحاول أن نجلى الحقيقة للناظرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ..

وفى هذا الكتاب عرض متكامل للنظرة الاسلامية الواضحة المستقاة

من الكتاب والسنة ، الى مشكلة الغريزة وما يحيط بها من نظريات ونظم .

تلك المشكلة التى جعلت منها الحضارة المادية مضلة .. بل التى اتخذها

تجار الشهوات سلاحاً فتاكاً ، يحطمون به المبادئ والمثل .. ويقودون

الانسانية تحت تأثيره الى طريق الدمار الذى ينتكس فيه الانسان ..

فيصبح شراً من الحيوان .. وهذا ما تشهد به ألوان الفنون والأدب ..

والعلاقات فى كثير من المجتمعات المادية المعاصرة .. التى يدعو المفترون ..

الى تقليدها فى موقفها المستخف بفسادة الانسان وأخلاقه !!

فليكن هذا الكتاب خطوة فى طريق الدفاع .. عن القيم الاسلامية والمثل

الانسانية .. ودعوة للشباب المسلم للاستعلاء والنبات ..

الناشر

